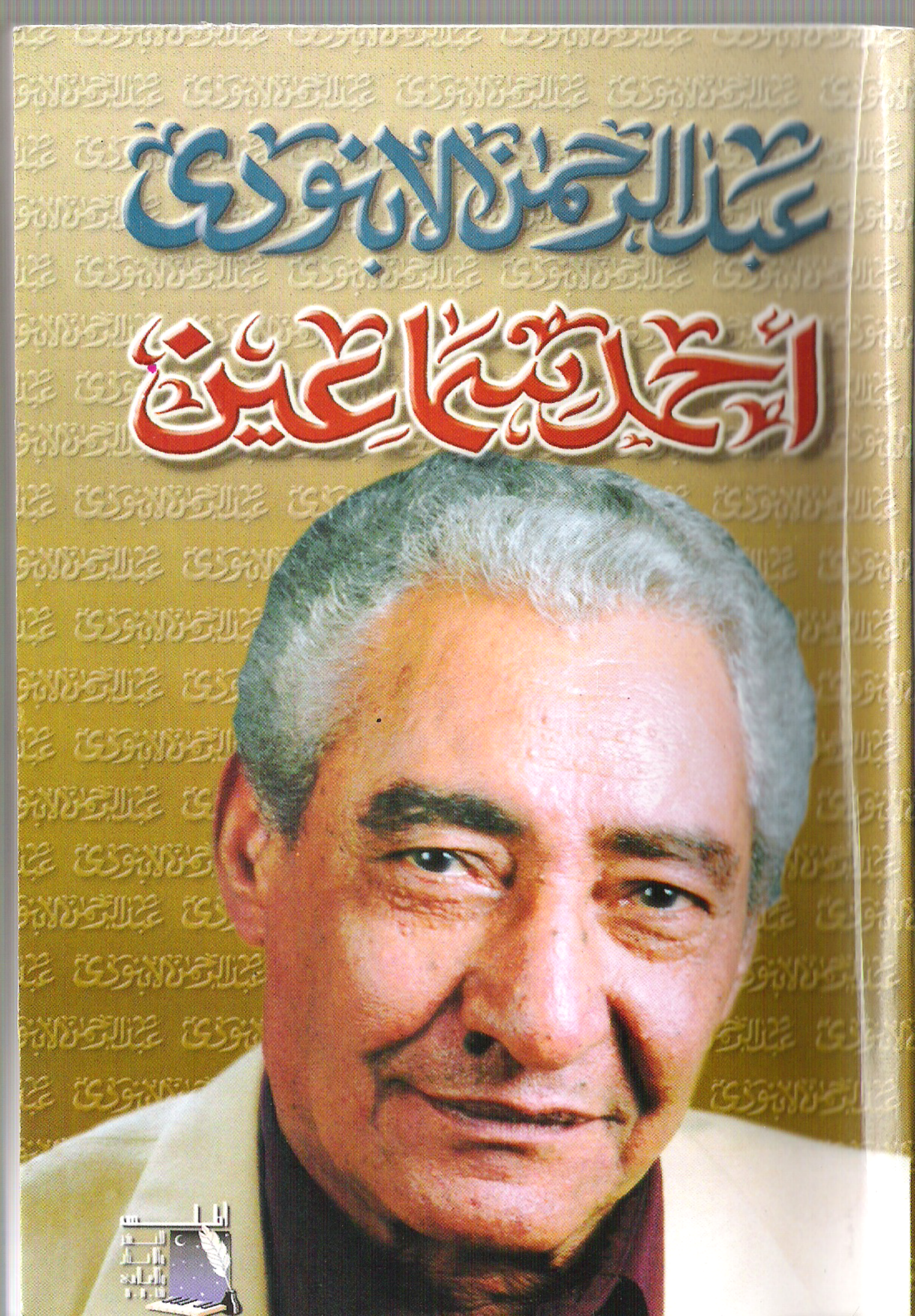

عبد الرحمن الأبنودي
أحمد سماعين

عبد الرحمن الأبنودي

أحمد سماعين

سيرة إنسان



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

رقم الإيداع
١٧٥٤٥ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى
٩٧٧-٦٠٨١-٩٥-٩

الطبعة السادسة

مطابع ابن سينا
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

الكتاب : أحمد سماعين
الشاعر : عبد الرحمن الأبنودى
الغلاف : محمد بغدادى
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠
فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

إهداء:

إلى طفلتىّ آية ونور

لتعرفا أن لهما قرية وهبتنى مالم تهبه قرية لإبن، وأهلاً حشوا صدرى بكلماتهم التى جعلت منى شيئا.

لقد تغير الزمن.

أخشى إذا كبرتا وذهبتا إلى أبنود أن لا تجدا شيئا مما كتبت. سيكون كل من عاشرتهم رحلوا مثلى، بعد أن تغيرت البيوت والدروب والقيم.

إلى ابن عمى «محمد مصطفى» الذى ألهمتنى حياته إلى حد كبير شخصية «أحمد سماعين».

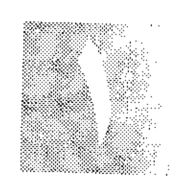
وإلى التى رعتنى فى الكهولة والشيخوخة وأنجبت لى آية .. ونور.. .. زوجتى «نهال كمال».

عبد الرحمن الأبنودى

وكانّ النيل ان هاجْ..
إن وجّت نار
إن مالت شجرة والاّ رقدت دار
يبقى ده حاصل
علشان أحمد سماعين!!.

الفصل الأول

أيام العمر



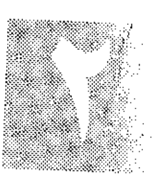
ساعة م الشمس كانت خارجة..
من بوابة «أبنود» الغربيّة..
والضيّ الأصفر..
أشبه بغبار فايتاه أقدام عسكر
قطعوا الدنيا.. ونازلين ورا جبل ابنود..
كانوا الناس راجعين.
وهنا.. للمغرب.. ريحة وصوت..
كله بيتّتاوَى..
ولاد بيسوقوا..
رجّال ماليين باطْهم برسيم..
وبنات بيلموا الوَزّ من الترعة للدار
والأكل بيجهز ع الكوانين..
والدخانة نافرة من كل سقوف الدُور.. البوص

وريحة التقليّة..
وآدان.. «الشيخ سعفان»
كله مروّح..
الزارع رمى فاسه ف غيطُه
والتاجر.. قفَل الدكان.
الشمس بتتدحرج ع البلد اللى فيها ليل.
نسمة بتخلى النخل يميل.
إبتدت النجمة الأوّلانيه تبان
إبتدا صوت الضفدع.. ورنين الطواحين
وكلاب بتهوهو لكلاب.
وابتدا يتطّرز ليل أبنود
بالنبح وصوت الضفدع.. ورنين الطواحين.
أبنود..
بجميع سواقيها وناسها ونجومها ونسايمها
بتكوِّع فى ساحات الليل..
إلا «أحمد سماعين».
مركب أفكار عايمه ف راسُه..
وعَمّال تتطوّح فيها شمال ويمين..
تايه.. ومِكتّم على أمر.

من سابع دار
تسمع صوت الأفكار
فى دماغ «احمد سماعين» المِندار
وكان ف راسه حلقة ذكر.
أول مرة احمد سماعين
بيخوّض بهدومه ف شُغل البال.
أول ليلة.. ما تُغْمُضْلُوش عين.
الفكرة المجنونة بتجرى جوّه دماغه زى الوطواط
تطلع.. تنزل.. تجرى.. تتكعبل..
تلزق فى سقف الراس..
ولما يحس بإنه خلاص ارتاح وعينيه تغْفَل
يفْلت ويحوم فى دماغه من تانى الوطواط:
«اللهم اخزيك يا شيطان..»
أحمد سماعين..
بيتمتم باللى عارفُه من سور القرآن.
أول مرة يحس بإنه
مش قد الأفكار.
راسه مهروسة بين حجرين.
أحمد سماعين م العصرية مش حاسس بالوقت.
ما هو طول عمره مزروع فى تراب أبنود..

إشمعنى يعنى الفكره يعني ما جاتشى غير دلوكْت؟
واشمعنى الفكرة ف راسُه
مش راضية تمشى..
غير جوّه الدرب المسدود؟
«ألفين رحمة يابا..
كنت دراع ينجد غرقان..
وانا غرقان يابا فى بحور الخوف وف عدم الصبر
ولَدك غرقان يابا..
محتاج كلمة..
حن عليه واطلع م القبر»

مسكين يا احمد..
خُرْم الإبره اوسع م الدنيا فى عينيك
ماتبصِّش..
إيه غير الضفدع.. وكلاب الليل.. والضلمة
والطواحين.. حواليك؟
والله ووقعت ف إيد الهمّ الناشفة يابو سماعين.
حاول تنعس.. والصبحية ليها عَدَل.

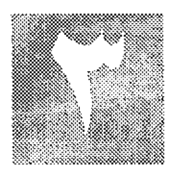


يا حضرات المستعمين..
قبل ما اقص عليكم قصة هذا الأحمد سماعين
أحب أنبِّهكوا لبعض التفاصيل
فده راجل مش مشهور..
أحمد سماعين فلاح مصرى أبًا عن جد.
بسيط.. وأمير.
غنى.. وفقير.
قلبه ف لحظة حجر..
وف نفس اللحظة.. حرير.
قضّى نُصّ حياته وسط القنايات والطين.
والنص التانى..
بيلعب «سيجة» أو يتفرج والاّ يغنى فى الأفراح

أو ينعس تحت كافورة فى الضُّهر.
لِقى نفسه ف ليلة محدوف على أرض الدنيا
وسط النساوين.
قالوا لابوه.
وأبوه كان شغال أيامها فى اسطبل العمدة
قال ـ بعد ما ربط الحصانين ـ :
«سمُّوه احمد»
وبذلك..
صار فى الدينا شئ إسمه أحمد سماعين.
ليه إسم فى قلب دفاتر مواليد المركز..
والمدرية كمان.
وأضيف للبنى آدمين فى العالم فى اليوم ده إنسان.

كانْت الدنيا أيامها توبها مْهرْبَدْ.. م الحرب..
وماشية ف سكّتها للحرب.
وف يوم واحد..
حست أمه.. وابوه
إن الدنيا حالتها صعب

فماتوا.
ولا لبسوا حرير
ولا ركبوا تاكْس
ولا سمعوا الرادْو.
ولا راحوا «الريحانى» ولا شافوا «على الكسار»
ولا ركبوا القطر
ولا عرفوا قراية ولا كتابة.
زى ما دخلوا الدنيا طلعوا يا موْلاى.
كل اللى حصل..
إن اللّتنين اشتغلوا كتير
ولا أكلوا غير البتّاوتين
ولا شربوا غير ستّاشر كنكة شاى.
زى ما دخلوا الدنيا حافيين..
طلعوا حافيين.
لكن قبل ما يمشوا..
كتبوا على بوابة الدنيا..
«أحمد سماعين».



دخل الكُتّاب..
إتعلم فكّ الخط وسابُه ف «سورة عَبَس»
ولحد ما بقى سنه اتناشر
كان احمد حاجة منسية فى أبنود
وعرف من صغره إن اليوم.. لِيه أكل
وان الأكل لازم له شغل
وان حصول الفقرا ع القرش.. صعيب.

عاش وحده فى البيت الضلمة..
المبنى بالبوص.. وبجواليص الطين
وإيدين والدهُ «سماعين».

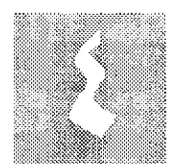
كان له فى البيت أصحاب
جرّه.. وفرن.. وبير..
وصورتين ع الحيط «لابو زيد».. و«دياب».
كانت خالته «نفيسة البِسّ»
بتغيب وتغيب.. وتنط الحيط
وتدوِّر على إحمد وتِعِسّ.
تغسل له التوب الدّمور.
تملاله اللنضة جاز
علشان ينعس فى النور.

من سن احداشر عرف الفاس
من سن تلتاشر.. جر الشواديف فى غيطان الناس.
طول عمره ما قالشى لأ
يعزِق فدان أرض فى عز الشمس
ويمشى ورا بقرة مربوطة فى ساقية طول الليل
يعرق فى اليوم بجنيه
ويندغ مُرّ المواويل.

واتنقّل أحمد سماعين فى كل وظيفة ف أبنود
«جازِر»[*] .. جانى قطن.. خولى
نفر في جميع أنواع التراحيل.
من صُغره.. عرف الشقّ طريق كفُّه.
من صغره اتعلم قلع الشوك من رجليه
وان سال الدم
يكبِس قلب الجرح «رماد الفرن» عشان يداويه.
والحق كمان يتقال..
ان احمد عمره ما مدّ إيديه..
وعشان ده
عمره ماحاش كلمة
كان شايف إنها لازم تتقال.
واحمد سماعين
لا يذكر إنه لعب وسط الأولاد..
بل واللى فاكره كمان..
إنه طيلة عمره ما كانشى أولاد..

❀ الجازر: هو الصبي الذي يؤجَّر موسما زراعيا كاملا خلف مواشي السواقي ليلا ونهارا نظير كيلتين من الغلال يحصل عليهما بعد دخول المحصول.

واذا جيت تسأل أحمد..
عن ليه مالعبش أيام ما هو كان عيل..
على طول حيرد عليك..
والضحكة فى نص عينيه
والدمعة فى نص عينيه:
«اه يابو خالو
ليه هوه انت ما تعرِفْش؟.
مش أول أمى ما ولدتنى
لغوا الأولاد؟»
....
أما عن «اليوم» اللى ابتدت الناس فى ابنود
تعرف أحمد سماعين..
فلده برضه حكاية..
حنحكيها شوية لقدّام



وكإن ملاية الليل شابكه ف مسمار
والهمّ تقيل يا احمد فى القلب..
بيمشى ويتمطّع جوّاك.. ويدبّ
لابس جزمة غُفَرا:
«ألفين رحمة يابا
كنت دراع ينجد غرقان
وانا غرقان يابا فى بحور الخوف
وف عدم الصبر.
ولَدك غرقان يابا..
محتاج كلمة..
حن علِيه واطلع م القبر..»

وكإنّك قاتل نَفْس
وكإنك كوز غَلّة ف نار..

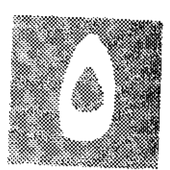
جلدك بيطقطِق جوّه لهيب الهمّ.
حاول تنعس
والصبحية.. ليها عَدَل:
«آه ع التوهان..
مين غيرك ياماّيه
يلمّ البدن المتبعتر؟
الغربة مرار..
وأمرّ من الغربة.. الغربة
مانا طول عمرى ف غربة
ده أنا حتى دِلْوكتى(*) فى مكانكم ياماّيا
وغريب».
ويقوم احمد..
يفتح بابُه لليل..
وتعدى نسمة تنطّق فى الخشب النار
ويبص فى قلب الليل على أبنود..
يعرفها نخلة نخلة
ودَار.. دار.
ومسمٍّى دروبها..

(*) دلوكتى: دلوقت، هذا الوقت، الآن.

ومصاحب مادنتها.. وسواقيها
ومخاوى الأشجار.
وتشق ضلام الليل زى الصرخه..
دمعة أحمد سماعين:
«بقى مش كان أحسن.. لو..
كنت طلعت دَكَر نخل يا ناس؟..
مش كان احسن؟.
ولا احير.. ولا ادير..
ولا يركبنى الهم».

قلنا ان الخلق ف أبنود
عرفت أحمد سماعين بعد حكاية.
كان سنّه اتناشر عام..
لو قرّبت عليه ـ أيام ما هو كان خالى البال ـ وسألته
على طول حيردّ عليك
والضحكة طارحة ف عينُه ألف جنينة عمْر:
«ياسلام..
شوف ياخى كيف الدنيا بترمَحْ رَمْح

طب وحياة المرحومة..
كانه حصل من ست ايام»

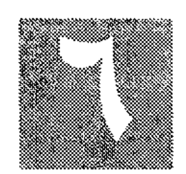


قبل طلوع الشمس بمُدّة
أحمد سماعين اتعذبل م الشيْطان
ونَفَض بدنُه من ع الفرش.. وقام.
م الطاقة الشرقية دخلت نسمة صبح.
أحمد ميِّل وشه تحت الجرة
ومسح وشُّه فى «حِجْرُه»
وفتح الباب واتوكل ع الفتاح.
أبنود لسه مادبتشى في دروبها الرِّجْل.
وقف احمد عند «البِرْكة البحَرية»..
إتْفكّر إنه ماقفلش الباب.
«إيه اللى جرالك ياحمد بس..؟

عمرك ما اندْرت كده..
ماكانتْش دى شورة يابوى..
والا أقولك..
يعنى انت إيه حيلتك خايف الحرامية يطولوه؟
إن كان «ابو زيد» راجل وسجيع بصحيح
يبقى يحارب اللى جايين ياخدوه.
ها.. هاى...
الضحكة ف خشمك بتحنضِل
يعنى ايه؟..
راحت أيام الضحك خلاص؟!
«عِبيدِه».. إصحى يا عبيده يابوى..
إصحِى.. النور ما عيستناش حد..
صحِّيه «يام عبيده»
صحيه.. الناس شدّت
واحنا لسه نايمين
أيوه يعنى امال حيكون مين؟..

واللى يبص فى وشك ياأحمد..
يعرف إنك محتار.

وانك طول الليل صاحى.
دى عنيك زى كاسات الدم:
«اه لو كنا نعاود قبل العصر..
اصل معايا مُشكل لازمُه حَلّ..
ا....ه على قلب ظغيّر..
معصور عصر..»
....
....
صَف جْمال طالع من أبنود..
والرجالة بصوا كتير فى عيون احمد سماعين
حاسين بالهمّ وساكتين
مستنّيينه يتكلم
لكن هوّه مش موجود.
لازم قبل العصر يكون ف ابنود
علشان يقفل بابه عليه
يمكن لما يعود بسباخُه من الجبل الشرقى.. مهدود..
تغْفَل لّه عين.



على جسر المغرب..
كان احمد سماعين راجع..
من جهة انه يرجع مهدود
فاهو راجع وكإنّه حزمة قش سايقها التيار
أمّا من جهة النوم..
فكإن النوم حالف ما عينيُنه تغفّل جوه الدار.
مين قال ان النوم
يعرف سكة بال محتار!؟

رجْعت أبنود للدار
قادت كوانينها واتعشّت

وملت لنضتها بالجاز.
طلعت أبنود قضّت فرض المغرب.
الدنيا أول صيف..
والقمر الليلة.. لابْس اللى على الحبْل
لا هو عابر سكة.. ولا ضيف.
وشوية.. ودّق الطبل
وياويل الزرع اللى محتاج خدمة بالليل..
لو دق الطبل.
من كل نجوع المركز تيجى الناس
يكفّى جلابية.. وخزرانة.. وطاقية.. ومدَاس.
تتفندق كل بيبان أبنود..
وتلاقى الولْدات فرصة تهيص.
والليلة جواز «مطرود وادّ الحاج ركابى»
ـ «تطلع يااحمد؟..»
ـ «سيبوا الطبل لأهل الطبل ياهوه
حيرجّع كيف الطبل العقل اذا كان ناوى يتوه؟.
والاّ أقولك..
الواحد فى الحالات دى..
لازمُه شويّة يتوه».

لبس الجلابية ونزل الدرب
بصّوا الناس على باب العرس.. لقوه..
وبتاع الزمارة ضرب له سلام
همست «بتّ حسين المقْرَش»:
«ماله وشه مخطوف كده بس يارب؟»
الجمع جميعا وسّع له..
سنّح حبّة.. وقعد زى قادوس مدلوق.
الزمّار.. نصّص له وربّع له
بص له إحمد من ورا نَفَسه المخنوق:
«يرحم أيام المغنى يا «قفطاوى».
ماخلاص.
دوّر على غيرى..
الولَدات ماليه ابنود.
مش قادر والله ياقفطاوى.
وانت اعذرنى يا «مطرود»
ياما كنت محوّش لك كيلتين مواويل
علشان فرحك..

بس الهّم ياواد خالى.. عويل❀
إرجع بس انت وعزّم ع المعازيم»

روّح ياحمد..
الدمعة فرّت من عينك وشافوها الناس.
طول عمر عينيك يا احمد سماعين
ما كانت فناجين للدمع
على آخر الدنيا بتبكى كده؟
وف وسط الجمع؟

ويقوم احمد:
.. «الليلة فرحة «مطرود»
وآدى انت كان المفروض تبقى صاحب العرس
وتبقى انت وبس الموجود.
جرى إيه ياهموم..
فرّجتى عليّا الغُرب ف قلب ابنود..

❀ عويل: ثقيل الظل، بليد.

والله احترت ودرت وضعت ياواد سماعين
فى العين رَكْيِةْ جمْر
وفى البال طواحين
والقلب بارود.
وحتعمل إيه؟..
روِّح..
ربنا موجود».

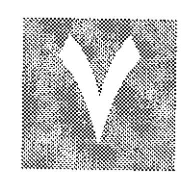
●

●

●

سحبوا الصُّحبان بعض وجولُه.
فتحوا له قلوبهم وقالوا له
ما هى دمعة إحمد سماعين فى العِرْس..
مش دمعة وبس:
«هوه يعنى ياخلق
مافيش فى الدنيا
غير زفت الطين.. احمد سماعين؟
ماتروحوا لمطرود فى الطبل..
والصبح يعدّلها الحلاّل».

- «ياسلام ياحمد..
كيف يعنى؟..
أمال اصحاب من فين؟.
طول عمرك ياخى بتحب الناس
ايدك تخدم.. وعينيك..
والقرش اللى اتعتّر فى ميتين سكه
علشان يلبد فى إيديك.
يابو قلب اطرى من قلب الخَسّ».
- «ماعلش ياناس..
متدايق بس..»
- «متدايق ليه ياحمد..؟
مين فى زماننا ده لاقى اصحاب
ييجوا ويدقوا الباب
وينادوا عليه
ويحطوا كفوفهم على قلبه؟
ده سؤال القلب الطيب يابو سماعين
ولازم له جواب..»
- «طيب.. آحكى..»



ـ «.. والله يا إخوان..
ماعيتنكّر للشئ الزين.. إلا القلب الخسران.
وانا يمكن اكون ياما غلطت ف ناس..
لكن طيلة عمرى ـ وانتو عارفين ـ
ما عملت الشِّين
ولا شلْت ف قلبى السّو.
وادى أَبنود.
وآدى انتو من زينة الجدعان.
العقل الموزون
والعين اللى تعدّ الرمل.
ورّونى واحد حَبّ الناس زى ما حبيت.
ورونى واحد حب الخير للناس زى ما حبيت
حبيت الخير والناس

وبنيت من قلبى من اصغر بيت لاكبر بيت.
مديت إيدى فى حيطان.. وغيطان.. وجسور..
هديت فيها وعلّيت.
ودخلت فى كل اللّفراح
لغنى وفقير.. غنّيت.
شلْت ف كل نعوش أُمَّاتكم.. واباتكم.. واخواتكم..
عمرى ما دخلت جنازة.. وعِّزيت
دايما كنت أشيل القهوة للناس..
زى ماكون م البيت.
ولا هوجِةْ نيل ع الجسر.. الا اما كنت..
وقبْل الناس.
عمرى ما نخّيت على رُكبْة كَسلِى
وقلت تغور الأَرض..
لانا ليّا قيراط ولا سهم.
ساعة الزنقة باحس كإنّ عليا صلاة الفرض.
أحس كإنى العضم.. وإنتو اللحم.
وابَا.. كان قَبْلى.. سقيفة تضلل تحت الشمش..
وانتو فاكرين النُكتة
اللى قالتها عليه «مرْت الزيات»:

«سماعين..
أول مره ف عمرُه قعد يرتاح فى الضُّليلة....
.......مات.»

«فاكر سماعين..
فاكره بعوده الملْوى فى البفْتَه الخام*
وعينيه.. اللى الدمعة فضلت فيها ومانزلتش
لحد ما مات.
يمسح عرقُه ف كمُّه.
ويملا «المخْول*» تبن.
ويكلم بقرَ العمدة.. كإنه ناس.
اللى مافاكره مرَّة ضحك.
اللى ما فاكره مرّه قميصه كان مغسول.
كان طول اليوم يمشى فى المِخْوَل..
ومن المخول.. للبيت
حافى..
حاله ف حال نفسه
يفتح فى شفايفه.. ويقفل.

* البفته الخام: جلباب الدمور.
* المخول: مكان وضع التبن والعلف للمواشي.

فى حياته ما وجَّه لى سؤال.
طول عمره ما كلمنى يمكن..
اكتر من ست سبع كلمات.
كان يفتح بيده الباب.. ويخُش.
زى حمارة التتريب.
ساكت زى كده.
ييجى ما ييجى.. ولا كان بيجدّ على البيت شئ
ولا يتنفّض.. ولا يغسل وش
أول ما يخش..
يمد البرش.. وينعس..
زى الجسر المهدود.
ولا عمرى سمعته قال كلمة لأمى.
وساعات أبقي مُحتار..
كان لازم علشان أمى تجيبنى..
يومها يدخل ابويا الدار..
بالمِنْدار.

كان طول اليوم
واقف.. قاعد.. ماشى
لكن مصلوب فى الشمش.
كان يذ غ قرن اللقمة*
والبقرة جنبه بتندغ فيَ التبن.
واللى يشوفه بيندغها كيف
طول عمره ما يفكّر إن الراجل ده
يبقى له ابن.

كانت خالتى وانا ظغيّر
تسحبنى من يدى معاها ع الدار
كانت تحكى لى كلام
مش باقى منّه ف راسى
غير زى ما بقى من «بيت تكرونى المهدود..»
السُلطه.. العسكر.. الحكام.. راحوا..
ربطوهم فى الحبل.. خضَّر له عُمْر جديد.
إيه يعنى السُّلطة ياخاله..؟

* قرن اللقمة: يعنى أحد أطراف اللقمة الجافة.

كيف يعنى يخضّر للبنى آدم عمر جديد..؟
وتكون فين دى بلاد الشام..؟
وسمعتيه انتى ياخاله..
لما رجع يرطن م الشام..؟
وآدينى لما كبرت..
وداقت يدّى الفاس
وسلام الناس
عرفت البنى آدم منّا
كيف لما يكون غلبان..
دايما يبقي الحطب اللى يقيد الفرن
اللى يناموا عليها ولاد الناس.
وعرفت الراجل..
ليه عاش قد ما عاش.. مانطقش.
واما «قالولى» مات..
ودخلت عليه..
ولقيته فى الركن ده متمدد ميت..
بصيت فى عينيه..
وعرفت على الفور
كيف سماعين

عافر.. عافر.. عافر.. وماطاقْش.

●

●

●

وينام العيل مِنِّينا..
وتروح عينه فى النوم على كتف العمر
وهو شباب
وما يصحى غير وطلع له شناب
ويشم ف باطُه شعر الرجالة.
والناس فى ابنود
توزن بعنيها الناس.
تقلبْ فيها.. وتعدِل.
وانامن لحضة ما عرفت بإنى خلاص..
من لحضة خالتى
ما لفّت إيدها ف طرحتها عنى فى سلام*.
وبنات الدرب..
اللى لعبوا معايا وانا ظغير..

* حينما تصافح امرأة رجلا فى قريتنا.. تلف يدها فى طرحتها كى لا تلامسه.

بقت تجرى وتزرق* فى الدار
أول ما هى ترقبنى هالل
من على راس السكة..
.. .. حسيت انى كبرت.
وبادورّ فى عيون الجدعان والرجالة عن
شوره
وخايف.
ياترى بس يا ربى شايفنّى كيف..؟
ناقص....؟ هايف؟.. مش راجل...؟
والشاب ان ضاقت الخَيهً عليه
حاجه من اتنين
ـ ده ان كان فى وشه نقطة دم ـ
يايهجّ.. يا يصبح بت.
وانا من أول عَمْنوّل عمال اقول
ياد... أنت كبرت.
والشاب اللى ف بدنك..
عَمّال يزعق ع الْبِتّ.
بِتّ...؟؟

* تندفع مختبئة

وده مين ده اللى يرمى بِتُّه لواحد..
زى الأرض البور..؟
ولا يملك م الدنيا ولا الآخره
غير الرِّجْل الحافية
والتوب الدَّمور..؟
وتاخدها عشان خيبْة ايه.؟
لا قيراط ولا سهم.
ويعدّى العيد يمكن..
قبل ما بيخُش ف دارك رطل اللحم.
أنا مش خجلان منكم يا اخوان.
لو مافتحتش قلبى معاكم..
حيأبِّد قَفْلُهُ الصَّدَيان(*)
كان لازم سماعين يطلع خَطَّاف وحرامى..
عشان اورث لى قيراط
وتخدم أمى فى البندر.
وانتو عارفين حتى الخدمة طولة العمر
- مادام خدمه وبس -
ما تساوى ربع قيراط طين.
والفقرا من أول آدم..

(*) سوف يغلقه الصدأ إلى الأبد.

عدوها.. وحسبوها..
وسابوها للى عايزين.
واذا رحت تخبِّط على باب راجل
على طول عُيقولك:
«انت من بيت مين.؟
إنت واد مين فى بيت مين.؟»
الناس فى بلدنا ياإخْوانى بتعامل الإسم
والإسم ف وسط الرجاله بوَزْن..
أُبقَى جيفة..
لكن لازم تُبقى من بيت مين.
الحرامية فى أبنود برائتهم.. أساميهم.
القرش ف أبنود ياإخوانى
هوه اللى خلى العمدة يقْنِى(*) فى زريبته
سماعين.
إذا كنت باخترف يا عويضة..
وانت يا عبْ جواد..
عذرى ان القرش - ان جانى -
لا ليه سكه مرسومة ولا ميعاد.

(*) يقنى: يقتنى

وكْبرْت.
وحتى ان حدّ انْداق من بتُّه ورماهالى
راح افحت فين عن رزقي للأولاد؟
إذا كنت باشوف ان ذنوبى فى رَقَبْة أبوى
فانا مش عايز اشيّل ذنبى لحد.
طَّولت كلامى.. مش كْده..؟
عاد انتو اللى قطَعتوا ف جوفى جسر الهم..
قولتولى قول
ولا بحرين قول يكْفوا
ومادى احنا.. طول العمر صحاب..
عُمْرِش واحد فيكم قال مرّه لنفسه
إحمد شاب.؟
إحمد لازمه جواز.؟
عمرش واحد فيكم شاف ان احمد
فيه حاجة ناقصاه.؟
عمرش واحد فيكم حسّ ان احمد
لازمُه فَرْشَه.. ولازمه سرير؟.
ويعدّى العيد..
عمر ما واحد بص لنفسه وقال

يعنى صُح يا ربى.. احمد..
مش عايز يلبس قفطان فى العيد؟..
يعنى يا ناس
معقول مش بدِّى مَدَاس*
معقول مش خوطرى ابقى مستور كده..
زى عِيال الناس..؟
وارجع ياخوانى آخر الليله غريب.
فرّادى* ومطرود.. وغريب.
وأحس وانا معاكم إني وحيد.
جرّبتوا يارفاقه.. الصُحبة
لما تكون غربة...؟
....
قلت زمان..
وقالوا لى.. روح الكامب*..
لكن طب أعمل إيه للْعين
اللى ما كانتش تشوف..
غير الوش المتَّاكل.. والإيد المقطوعة.. والخوف

* مداس: حذاء.
* فرادى: وحيدا.
* معسكرات الانجليز

واجى من عند القطر..
غاسلانى دموع الأبَّات.. والأمَّات
والإبن الفردَانى طاير منه الربْع.
طوابير نازلين لابنود
والدنيا مغارب..
- كنت ظغيرً.. - وفاكرهم
وانا وسط الناس راجع
والناس مزروعه مواجع
والشمس بتمشى زى ماهيّه..
والكلب بيصرخ..
والمادنة بتْنَده على حيط الجامع.
....
وكمان.. كانت مقطوعه قدامى
سكك الكبابين❀
كل ولاد عمى راجعين..
وبعيد عن عين القاعدين

❀ يسمون المنجم.. كبانية.. ومعظم الأبنودية يعملون بها.. فنحن من أقرب المناطق لمدينة القصير على شاطئ البحر الأحمر.. حيث مناجم الفوسفات.. والبعض يتجه إلى منجم «السكرى» بالجنوب لاستخراج الذهب.. أو «أبو زنيمة» و«أم بجمة» بسيناء، واللفظة تحريف الكلمة الإنجليزية : Company

والعلة حاشّه الصدر.. وماصّه دم الخد
والمافية العين.
والشركة بتدفع تمن الشاب بخمسين.
ندفّعهم أسبوع فى المستشفى..
ونجمع له من الناس تمن الدفنة والمقرئ..
يبقى فين.!؟
يمكن ما يشوفشى نور الشمش سنة وسنتين
يكحت فى تراب المنجم..
وكإنّ ما بينه وبين المنجم.. تار.
طب واللّهى يارجاله..
لما كان الواحد من دول
بييجى بس زيارة..
تبص ف وشه تكدّب نور الشّمش.
يحكوا لك على «صوُيْع الدِّلاَميت»❀
وصفيحة الميَّه..
اللي يشربها الواحد فيهم.. فى نَفَس واحد.
والرَّضفه❀ لما تقع على عشرة تردمهم.
ويزيحوا فى الضلمة.. والنفس المخنوق..

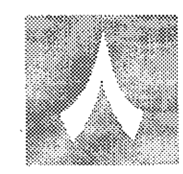
❀ الدلاميت : الديناميت.
❀ الرضفة: جزء كبير من تراب وصخور سقف المنجم.

والصهد اللى يقيد..
عربيات سكة حديد.
والفوسفات يشفط دم الراجل شفط.
ويعودوا.. زى عيدان القطن اليابسة..
ماسكين فى اليد..
شهادة.. عليها إمْضِة واحد بيفُك الخط.
....
أنا اقول الحق..
ياما فكرت أروح الكبانية وخفت..
ايه حيخوفنى.. ماقولشْ قدامكم أنا خفت..؟
المُرّ هنا..
أحلى من اللقمة اللى يغمسها الراجل بشبابُه..
أهو برضه الواحد مقتول مقتول بصحيح
لكن بيردِّ لُه نَفَسه معاكم.. آخر الليل.
ملعون القرش.. اللى الواحد يقنيه..
علشان يشترى بيه كفنُه.
آدى اللى زانقنى ف زُقْرِ(*) الهّم الكام يوم دول.
وانا عمرى ما عرف غير الكتف..

(*) زقر الهم: ركن الهم.

وغير الإيد.. والفاس.
ويقولوا عليا إيه الخواجات(*)
لو رحت وقلت.. انا عايز اتعلم نُول..؟
وانتو حتقولوا إيه..
واخر الليل.. أبنود مش بتنام غير ع القول؟
وأقول الحق يارجالة..؟
أقول.. وما تغضبشى عليا يا «عب جواد»؟
أنا ناوى الجمعة الجاية..
ارحل على مصر.

(*) الخواجات: المسيحيون.. وهم فى قرانا لا يعملون بالزراعة.. وإنما بالنسيج اليدوى.. والصباغة.. كما يمتلكون الطواحين، والمعاصر ويحترفون هذه الاعمال التى لاتصلح للمزارعين بالطبع !!.



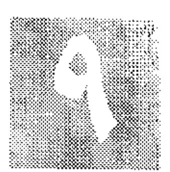
أصحاب احمد سماعين
اتصلبت عينهم ع الكلمة..
واتنكتت❀ مزروعة فى تراب الدار.. والطين.
والليل بَيْونّ❀.. كإنه رحاية بِغْلّ
واللنضة.. فتيلها نشف فى مكانها على الحيط.

❀ اتنكتت: انغرست..
❀ يون: يدوى

هبّوا نسمات الفجر الباردين..
زى رسايل الحزن على عويضة وعبد الجواد.
مال عبد الجواد على حنفى عشان يهمس له كلام..
مالاقاش.
كانوا أول مره يشوفوا احمد..
كان احمد.. نسى أبنود .. والناس..
والسوق.. والبِرْكة.. والأفراح.. والجنازات
والحاضرين.. والغايبين
فى الساعة اللى كان ـ ولأول مرة ف عمرُه ـ
بيتكلم فيها عن إحمد سماعين.
الكل ساعتها من ورا بصة عينه الساكتة..
شاف احمد سماعين..
حتى احمد سماعين.
....
....
الليل.. طاوى كفوفه ع الحزِن
حَمْحَمْ فى الدرب غفير..
ومرّت نسمة فى البوص..

وأظن الأفراح.. والصحبة والمشاوير والذكرى
كانت لابْدة فى عيون الوِلَدات..
خايفة من بكرة.
خايفة من اليوم اللى يبُصوا فيه..
ويلاقوا الْوَحْشة بدال إحمد سماعين.

عبد الجواد قام.. قاموا..
إتحرك..
مشيوا فـ ديله طابور.
ومن الطاقة دخلت نسمة نور.
الباب اتردّ..
واحمد سماعين
كوَّع.. زى الباب المكسور.



تتشقق أرض الليل عن خُضرة أعواد الصبح.
الرجل السمرا فى الطين
والفاس فى الإيد..
ويجرى الواحد..
م الساقية.. للحوض.. للدرباس* .. للجسر.
يشيل فرعة علِّيق.. يرمى كيماوى..
يزعق على بقرة..
ينده على حدّ فـ غيط تانى
تتقفل الدنيا عليه فى الحوض.
ولايمكن يشعر بالصبح.. وبالشمس.. وبالمنظر..
الا امّا يحسّ بقورته بتقطّر..
والفاس متزحلق فى إيديه.

* الدرباس: حافة القناة الصغيرة.

وتبص عليهم من على كوم
تلاقيهم تحت الشمس..
أشبه بفروع الضلّ المرمية ع الأرض.
وان قرَّبْت.. أوّل ما يقابلك..
لون الوشّ اللى عازقاه فاس الأيام.
وعيون صافية صفاوة الحزن..
حزينة حزن السِّن.

إمبارح.. قبل حكاية «مطرود والعرْس»
خبّط «عبّادى الشيخ».. على باب أَحمد..
أحمد حيروح فى الصبح البدرى عند «طاحونة الخور»
والغدا حيجيله هناك..
ومعاه فى الدور.. غَزالى عوض.. وحسين موسى..
وهناك الساقية..
والصبح احمد.. حيفوت ياخد التُّور:
«فدان واحد..
وماظنش يااحمد لازمك أكتر من كده أنفار..»
بص احمد فى عينين عبّادى.. وهز إيديه..
واختفى تانى فى الدار.

....

....
بعد طلوع الولدْ بساعة من عنده..
قام «شهَّل وشَّه»* من المنْشل*
على كتفه الفاس.. والمنديل ع الراس..
بص بعينه على أرض العبادى لاقلَّب ولا قاس
شمَّر سرواله وغاص..
مارفعش الوشّ.. الا امّا..
وَجِّتْ فى دماغه تانى سيرة القطر.. ومصر.
وأهالى ابنود.. لما يعدّوا على الجسر
يقفوا بالكلمة معاه فى الأرض:
«يدِّيك العافية يابو سماعين..»
«الله يعافيك يابو دياب.. مرحب. مرحب»
«خَلِّى عن الرجاله..»
«عقبال ما نجاملك فى الفرح يابو عويضه..
مرحب.. يجعلها سنين بيضا..»
....

* يقولونها عن غسل الوجه السريع فى الصباح.
* المنشل: البلاص الصغير.

واحمد لما يغنى..
روحه ترهَف.. ترهَفَ.. وعينيه تبكى
وتحس كإنه غريب بعصاية وخُرْج ومنديل.
واذا قال يا ليل.. فى الليل..
الليل يتهز طَرَبْ وشقى ومواويل.
كان احمد صمم يقبل كل الشغل اللى يجيلُه
وبأى تمن..
تذكرة القطر «بمبلغ... وبْقَدْرُه..»
والقطر ماهوش على كيفُه..
ولا قطرُه..
وان مات حتى.. بخوطره
وان شاله يخسّ دراع..
لكن مش ممكن حاجة تعطّلهُ سفرُه..
مسافر يعنى مسافر..
أبنود ضاقت.. ومالوش فيها دلوقت..
غير تمن القطر..
وتمن القطر ده.. وقت.
وهوّه كل اللى معاه..
خمسة وستين قرش..

١

ناظْر الكُشْك..
اليافطة اللى مكتوب فوقها.. «أبنود»..
طلع السِّلم..
سَلّم ع الناظر.. وشرب م القلة الباردة.
سأله عن أجرة مشوار القطر لمصر.
قاله: «ميَّه خمسة وعشرين قرش»..
طلع الناظر آخر ظُرف معاه..
شربوا الشاى فوق فى الكُشْك..
عند «دراع السنافور»..[1]
قعد احمد جنبه خجلان..
لكن عينُه بتحرت فى التليفون.

(١) السيماور.

أول مرة عن قرب كده..
إحمد يسمع حس التليفون
والناظر يزعق من أبنود:
«أيوه.. الإكسبريس..
أيوه يا على افندى.. سامع..؟
الساعة خمسة ونص..»
واحمد يسمع ساكت.. ويبص..
- «أيوه مُرّ..
فتحنا السكة خلاص.»

عرض الناظر على أحمد.. لما عرف الموضوع
إنه يشوف له مكان فى بوفيه القطر..
يودِّى الشاى للركاب.. ويروح ببلاش.
قالله: «انت أوْلى بالمبلغ فى الغربة هناك..
دى بلاد صعب.. تبيع كرسى العَرْش.»
أحمد هز دماغه وإيده كإنه بيمنع ضربة سوط:
«أبداً..
ليه ماركَبش ف وسط عباد الله ليه؟..

ده انا أركب جنب الناس..
وكمان أطلب شاى.. وادفع تمنه.
ليه؟ يعنى ظغَّير والاّ قليِّل؟..
واذا كنت كمان مش حالقى الأجره..
واللهى ده يبقى موت الشخص احسن..
ويبقى الحق مع الكَفَره.
شَحْط.. طويل وعريض
كتف وإيد.. وشباب
ولا اجيبشى حَق القطر..؟
ده يبقي الساعة خلاص قِرْبت..»
....
....
ونزل من عند الناظر..
واتمشى شوية تحت اللَّبخة..
وف ضل الكشك.. وعلى طول الرصفان..
وكإنه أول مرة بيبجى.
أول مرة يشوفها.
خطَّى ونزل.
أول مرة يقِّرب م القضبان

طَاطَى على حيلُه.. ولمس القضبان بإيديه..
واستعجب ع الإنسان.
كيف فكر في القطر..؟
كيف مَدَّ «الشَّرطان»*..؟
كيف ما يقعش القطر؟؟
وفكر فى السواق:
«أهو ده مثلا..
راجل طيلة عمره غريب..
يمكن أقصر مده قضاها
قضاها فى بلده.. مع أمه ومرته وولده
وانت حتي ماليك عيل.. ولا أم
ليه الغربه تخوّف..؟
لا تخوف ولا شي.
أهو عندك سواق القطر..
مصاحب مين..؟
وافرض حتى مصاحب..
ماقعدشى ليه وسط صحابه وفنَّخ*..؟
كان عارف..

* شُرطان القطر: القضبان.
* فنّخ: استسلم للنوم.

يا الشغل بكيف ما يكون الشغل..
يايموت م الجوع..
وانا... طب... أُفرض رحت..
وافرُض مالقيتشْ شغل..
أُفرض يعنى.. ده مثَل..
طبعا لابد ألاقى الشغل فى أينما كان..
أيها شغل.. ان شالله يكون مش من قيمتك..
حتقول - يا احمد - ماعلش..
الشغل ما يتعيبش..
لكن... طب.. أُفرض يا احمد.. أُفرض مالقيتش؟
ولقيت برضه تمن القطر تعود..
ترجع...؟
كيف..؟
وابنود..؟
واللّقْش* بتاع أهل بنود؟
حيقولوا.. زى ماراح أهه جه..
تتطفى فى عينيهم.. زى اللنضه اللى بلا جاز..
ويقابلوك.. ومداريين تحت عينّيهم..

* اللّقش: السخرية بالكلمات المرجعة.

ناس تانية بكلام تانى...
لكن طب أُفرض مالقيتْش الشغل..
أحسن ترجع والا تغور..؟
لأ.. أرجع هنا
وأقل ما فيها ان مُت..
فيه كتف يأجر فى النعش.
ترجع...؟
طب يبقى لازم يبقى معاك فى الأول
حَق التذكرتين.. روُحَه.. وْجَيّه
ميَّه خمسة وعشرين..
وكمان ميه خمسة وعشرين..
يعنى جنيه وجنيه.. وعليهم نص جنيه
والناظر قال.. الشاى فى القطر بقرش..
طيب والمصاريف..!؟
واه.. واه.. واه..
طب دلوقتى واد عمك حسّانى ده اللى انت رايح له
حتخش بيدّك عريانه عليه..؟
معقول..؟»

كان احمد فى الوقت ده ساب الكُشْك..
وخطى الرُّصفان..
ومشى ع الجسر..
لاعينيه شافت شئ ولا حد..
وقرب من «سور السوق..»
ولما عرف انه لازم ياخد «زاده وزوّاده*»
وزيارة لحسَّانى.. غير الشوق..
إتكوّم بَارِك مهموم ع الجسر.
تقيل.. من غير أنفاس.
ودفن وشُّه فى رُكَبهُ..
وغابت عنه الدنيا وسلامات الناس.
«جنيهين إيه.. ونص جنيه إيه ياأحمد عاد؟
حسانى عنده ولاد.. ودى مصر..
حسانى أبوه وادْ خالتك.. مين قال غير ده..؟
لكن حسانى حَيْعولك..؟
اتناشر عام حسانى ف مصر ماشَقّ على امُّه*..

* الزادة والزواده: هى المئونة التى يأخذها المسافر معه.. مع ملاحظة أنهم يخرجون دائما للعمل بعيدا
* شق على امه: زارها.

ولا جالها منه جواب.
مات عمه ماجاش.
من جهة انُّه زين.. حسانى زين..
طيِّب ونضيف القلب.
لكن دى الغربة..
والناظر قالك.. الغربة صعب..
قالك لو «مزنوق» فى السكه
علشان ترتاح منها.. راح تدفع قرش.
الناظر قالك مصر دى فيها الخلق
بيبيعوا كرسى العرش.
كتّر خيرهم عاد..
اللى ما خلّوه يعنى باع لوْلاد.
واذا كنت انت حترتاح عنده
يوم.. واتنين.. وتلاته
لحد ما تلقى الشغل..
مش لازم برضه حتخش برطل اللحم؟
وحاتعمل برضه الواجب؟..
والا حيتكفِّل هوّه بالنوم والأكل؟
ريِّح نفسك..

مش اقل من الورقه ام الخمسة جنيه».

●

●

●

ولأن الموضوع جوّه احمد إتعقّد
وصبح ورقة بخمسه جنيه..
فاحمد أول مره يحس اليأس.
وأول مره يحس بإنه رخيص
وبإنه تراب.. وبإنه لاشئ.
ولأول مره يحس بإنه مش عاوز يعرف حد.
أول مرَّة يحس بضيق من كل الناس..
م السما.. والأرض.. وابوه.. وامه..
ومصر.. وأبنود.
لما تكون عاجز عن شئ
فانت بالنسبة للشئ ده مش موجود.
واحمد قام..
وكإنه على بدنه داست عجلات القطر.
كإن التعب اللى تعبه طول عمره.. نَخّ عليه.
حس كإنه بيتحول واحد تانى.

حس بإنه بليد.. وبإنه عجوز
ويغربة ع السكه اللى مشيها ميتين مرة.
حس كإنه بيجر سنينه فى رجليه.

....

وافتكر الفاس المرمية عند الطواحين..
مدلوقة تحت شَجَرْة التوت..
وعرف إنه لابد يروُح.. حتى لو كان حيموت.
ولأول مرة احمد سماعين.. يكره فاس..
يكره أرض..
يكره ناس.

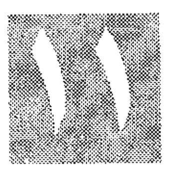
واما رجع..
كانت أرض العصر بتتشقق عن سمرة أعواد الليل.
وسمع ع المادنة مؤدن..
كان المغرب حَلّ
سهّم مشوار* ..

* سهّم مشوار: صمت مدة طويلة.

واندقّت عينه ع المادنة زى المسامير.
ووقفْ.. زىّ النخلة لما النسمه تموت
عينه.. بيزحلقها الصوت
لدروب وبيوت الفلاحين الطين.
ولمح أبنود ممدودة تحت المغرب
زى غريق مسحوب ع الشط.
حس برجفة ف بدنه..
للضلمة جلال.. وخشوع.
واندلّت إيده حواليه.. زى جريد النخل المقطوع.
صوت الصلا ع المادنة..
والدخانة الكفرانة طالعة من جوف الكوانين
والناس خيالات.. رايحين جايين
اتهز البوص على سطح ابنود.
ماشى.. والدرب مسهِّم قدّامه.. وحزين
الدنيا بحالها.. بتشوف..
من عين احمد سماعين.

اتصفُّوا الناس للمغرب.
والأولاد.. سايقين.. راكبين..

ريحة الأشجار.. والأرض المبلولة.. وأنفاس الطين.
صوت الشواديف.. والضفدع..
واحمد سماعين:
الغُربة عن الدنيا.. والناس
غُربة نور الشمس ف ننّى ضرير.
أهبل.. طفل يتيم مكسور الخاطر..
ماشى.. وبتّتابع عينه الحْيرانة
مِرْواح العصافير.



وهنا.....ك لما الضل كَسَر..❀
كانوا الرجالة.. جُمْ ع العملية.
نَفَضوا طواقيهم.. وشاشاتهم..
لمّوا المحَاريت.. والعِجْل.. وبرانيط الخوص
واتجهوا تحت الجسر.. على بيوتهم..

❀ الضل كسر: الشمس مالت للغروب.

ماليين الدنيا غبار وهزار.
أما احمد..
فطلع وحده.. ورا سُنْط الطواحين..
وهناك بص شمال ويمين.. مالاقاش حد
قلع توبه.. وفك السروال..
وغطس فى مَصبّ ماسورة العادِم
ودعَك جسمه بحتة شَقْف.
ووقف حبّه ع الدَّرْباس.. لما بدنه جف.
حط إيديه فى كمامُه.. ولبس التوب
ووقف وقفة طويلة.
مرّت ع الجسر جمال الصيف..
عَمالّ تتمخطر «بسفير القمح❀»
مرت نسمة..
حس احمد بالنسمة بتفك حبال الضيق من ع الصدر
إتمشى وطلع الجسر
لقى سَبلة قمح على الأرض..
مَيلّ وأَخَدْها فَركها فْ كَف بكف..
نَفَضها وقرَش الحب.

❀ سفير القمح: الأعواد المحصودة.

حس بلمسة إيد على كتفه.. بص.. لقاه
ـ «آه... ... هلاً..»
وكإن اتفتحت لاحمد طاقة قْدر
الوشّ ضحك..
والعين.. زى حوضين طرشق فى عيدانهم زَهر:
«كيفك يامبارك؟ سلامات..؟
يا....ه .... غيبة..
وايه ده ياعم..؟ قفطان سكروتة؟(*)
عاش المرحوم ولا شاف..
أقعد.. أقعد..»
كان الليل داخل..
لكن قمرة نص الشهر معاكساه..
قعد احمد جنب مبارك ع السكة.. جنب هدد..
رامى تعبه جنبه على الأرض:
«هيه..!! كيفك..؟ فين؟..»
أمبارك كان فى اسوان.. شغال فى الآثار..
من ست سنين بعتوله ولاد عمه.. وراح..
باين ع الوش.. ان اللقمة..

(*) السكروتة: نوع من نسيج الحرير.

عرفت يا مبارك جواك ترتاح.
وقميص سكروته.. وساعة بجلدة
وفالينّة قطن.
ومبارك يحكى عن أسوان:
ـ «لكن برضه مهمن كان..
يعنى فى الآخر..
ماعيستغناش الواحد برضه
عن نَفَس الأهل وشمْل الخلاّن..»
إتغيرت كتير يا مبارك..
ده الشئ اللى ما اخدتش بالك منه يابو سماعين
فى الست سبع كلمات الأولانيّين
كل شوية مبارك بيمدّ الكُم
الساعة بتبرق.. والسكروته بتتكسر فى النسمة
وصديرى حرير..
والجزمة برقبة..
والكلمة من فوق.
الكملة طالعه من المناخير.
كان لازم تعرف يا احمد..
لما يكون للشخص صديرى بِوِشّ حرير..

لابد كلامه يطلع م المناخير.
وانت يا احمد غلبان.. النيةّ لَبن.
بتدوِّر فى عيون امبارك ليه؟
عايز منهم إيه؟
إن كانوا ليل.. بتدوِّر ليه فيهم عن شمش!
وان كانوا شمش.. الشمش ماتطلعشى فى الليل.
أُمبارك مش إنت..
ومش قاعد جنبك يا احمد..
أُمبارك قاعد ع المنديل:

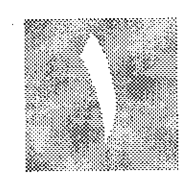
«أبدا.. مش منْداق.
ازيك يامبارك..؟
واللهى ياصاحبى مشتاق.
الدنيا بخير وابنود اهى زى الجن.
استنى اما ارْويلَك حاجه تفطّس م الضحك
مش عنزة «أم حسين»..
وقعت يوم الجمعة فى البير؟
والناس اتلمّت..

عارف ام حسين عملت ايه؟
اولا منعوها كانت ناويه تفُط تجيبها من البير
قعدت تندب وتصرِّخ زى «امّ قويق»
وحياة سيِّدنا محمد غلبانة يا شيخ..»

ويميل امبارك م الضحك
حتى ضحكُه ماعادشى نفس الضحك.
بقى م النَوع اللى يتشمّ..
الساعة.. الكُم. السكروتة.. الكمّ
الضحكه اللى مالهاش طعم.
واحمد من تانى اتشال واترمى فى الهمّ:
«لسه يااحمد فاضى وبتغنى؟»
واحمد أول مره يحس بكرهُه للمَغْنَى
ولمبارك..
إتمنى فى ضيقته لو كان ماقابلهوش..
لو كان دلوقتى.. لوحده فى الدار.

الفصل
الثانى

قبل السفر



رَفَعت «نُوَّاره» نضَرْها لفوق
فى البيت المش مسقوف
خطرت بعينيها بين النجم..
وقَطِرت.. فى «طريق التّبانَه»❀..
وعلى «الدِّمْس»❀
كنكْة الشاى كانت بتنس❀
يرقبها احمد بتخُضّ الكبّايه فى الكوز..

❀ طريق التبانة: طريق أبيض يظهر في السماء كالغيمة الباهتة المستطيلة. يرى في ليالى الصيف. يعتقد الأهالى هناك أن الجمال التى تحمل تبن القمح. تخلفه تحتها مما يقع منها من تبن. «لاحظ أن الطريق في السماء، والجمال تسير على الأرض.»
❀ الدمس: القش وروث البهائم. يظل مشتعلا مدة طويلة.. يرسل دخانا.. ويوفر الكبريت
❀ تنس: تنضج أكثر.

وبتمسحها ف ديل الجلابية السودا.
والدمعة
اللى طيلة عمره يلاقيها ف عينها
لقاها.
«ليلة كام دى يا عمّه؟..»
«والله ياوليدى ..
ماعاد لى بال. أنا عارفه؟
لكن يااحمد.. بالذمة.. انا كلمته؟
جبت لُه «سال❀»؟
والله وجيت يادى اليوم اللى عْملنا حسابُه..
ماعلشّ ياولدى كلّه عال.
وده طب.. ده انت
من عُمر ولاد ولدى «ياخليفة يا عبد العال»
امال إيشحال لو قلت لّك. لله؟
النبى ياحمد ياوليدى.. يادوب حانطُقها..
«مافيش.
غورى...
إنتى ياولَيّه ماتتهديّش من قولة هات؟.»

❀ سال: سؤال «أى هل سألته شيئاً؟»

*

*

*

زى الريح الشتوية ماتمرق من كَفْر لكفر
كان احمد سماعين
بيسمع نُوّارة
ويغوص فى طوفان اليام السُّمر:
الساقية.. الليل.. صرخة «جودة»
المِرْواح فى الليل.. الخوف..
لاتنين ولْد الاتناشر عام.
قلبين خُضرين..
ولدين.. لسه ماداقوا الحزن.. ما عتْروش في اللِّيام.
قدام الناس فى السوق.. فى الترعةَ..
فَى بياتْة الصيف فى الجُرن.
الصاحب نَفَس الصاحب..
لا أبُو ولا أم.. تعوزهم ياللى مصاحب.

- «قدام الناس والرجاله يااحمد؟..
أمال لو قلت لّه هات؟
أمال لو...

إخص عليك يا«خليفة ياعبد العال»
ياقليل الأصل.. يادون»

«تبِّت فى الحبل ياجوده..
جايلك
وصراخ جوده فى المَيَّة الضلمة يفرّ
كما أرنب خايف متطّارد.
ولا هبْت الليل
ولا هبْت نزول القواديس..
ولا قلت لنفسى دراعينك خُضر..
وحضنتك فى الميّه بباطى
تُقلك فى دراعى وتُقل المَيّه
«وياطبِّش❀» فى الهوّ ماواعى.
ونسيت نفسى.. ونسيت الخوف.
أمسك حبل القواديس يمشى معايا.
تتشبَّح عينى ف فوق..

❀ يطش: يتخبط

مانْضُرُ غير النجم..
و«طريق التبَّانة».
الليل كله.. أصرخ..
أرفع راسك فى المية.. أبكى..
أنوّح زى البِتّ».

قرَّب منها..
ومشَّى كُمّه على عينيها:
«ماعلهش يا عمَّه.. عيال»
«لأ ياحمد عاد مش عَيِّل
عَيِّل فين؟..
وهو كل اللى ربنا يديه قرشين..
يِتْظَنْطَر بيهم على خلق الله؟»❀
«ماعلهش وحقِّك محفوظ لك
دلوكتى الناس يعنى
حتعرف مين نُواره؟..

❀ يتظنطر: يصيبه الغرور ويتعالى على البشر

و«خليفة» ما كل البلد ـ العيّل قبل الراجل ـ
عارفينه نفَرى.. وْغَلاّط..»❀
«دى أُجَارَه يا ولدى
اخُدها فلوس ولا كوزان❀
ده عَرَق❀..
وانا رحت اشحت ياحمد؟..
ماهو كله ياولدى على إيدك..
فيه.. ولا مافيش..
يعنى انا كسَّرت بيبان ابنود.. قلت ادّونى؟»
«الراجل تلاقيه كان متدايق..
عشمان فيكى..
طب وحياة النبى عشمان»
وتُرِك❀ الكنكة بجسمها كله وتصُب:
«ده انت اللى طيب وابن حلال
واد عبد العال يِعْشم ياحمد.؟
وانا كنت ابقى له إيه علشان يعشم فيّا..؟

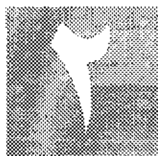
❀ نفرى وغلاط: يثور ويشتم لأتفه الأسباب..
❀ كوزان: كيزان الذرة
❀ عرق: أجْر.
❀ ترك: ترج.

وانا كنت ابقى له إيه علشان يعشم فيّا..؟
آدى السما قال وادى الأرض..
ويارب تديم الستر.
هيـ.......ـه
كان بدرى.. لما «ولدى» كان عايش..
ماهى دى عنيهم فاتيه❀..يخافوا وما يحسوش
كان يوْقف زىّ الناب فى اللحم.
مُطرح ماتكون.. الرحمة ياجودة ياولدى..»
«افتكرى الله بس ياعمه.. وفضّى الموضوع
ده عنيكى اتلحسوا بُكا.
وياريتنى ما جيت..»
ويبلبل❀ بدموعها الكُم:
«يا... بوى.
وانا ناقص بس يانواره؟..»
«إشرب ياأحمد..
والله ياوليدى..
مافضل لىّ خلافَك فى ابنود..

❀ فاتية: فاجره.
❀ يبلبل: يبلل.

اللى ما رِجْلِ بتدخل.. وتخطّى من العتبة..
ادى الله وادِى أمرُه يا «سيدَ ابُوك»❀
ونحبّها وشّ وضهر..
ويعديهم..
ماله الموت.؟ سُترة..»
«بعد الشر يا نواره..»
«قال بعد الشر..
حاسْتنى الحنّة ولاَ العرسان؟
اللى ف سنى ياولدى.. هنياله الموت..
يرتاح ياأحمد..»
«بعد الشر يا عمه..
ماتخلينا نزيح كباية الشاى
بكره يا شيخه تتعدل.. ما تْسنكريهاش..»❀
ـ «والله ياوليدى ما عادلى غيرك..
فى اللِّيام الحبْر..»

❀ ياسيد ابوك: تقال للرجل للتعظيم.. بمعنى أن أباه أنجب رجلا
❀ ماتسنكريهاش: لاتغلقيها من كل جانب.



كإنّ الدار حدفُه بمقلاع* ع الدرب.
يدّ الضلمة..
والنَفَس المزنوق فى الدخّان
والشكوى السودا.. ودمعة نُوارة
والشاى المُرّ.
و«جودة»
الزعلان الميِّت فى البال بيمُرّ.
برّه البيت.. خطاويه المغروزة بتتعذب.
ينشر في النَفْس.. الدخانة.. وبُقَع الهمّ.
ما يصحِّى النايم غفلان فى القبر

* المقلاع: حبل من الليف المفتول في قلبه اتساع يوضع فيه حصى لإبعاد الطيور عن المحاصيل.

الا السيرة الكدب..
ودمعة أم.
وانت يا جوده بِلاَ خَيَّات..*
البيت المنصوب..
بحيطانه.. وجراره.. وعَتَبْتُه مات
لما جودة مات.
وانت ياأحمد..
ترمى فى الليل الخالى.. بعيد.. مطرود
زى القنديل المنداس.
.. «ياما انتى غريبة ياناس ابنود..
ياما انتى غريبة يا ناس».
ويقوم الهوا على سيرة الموت.
مرجوف..
الخطوة بتمشى لفين؟.
إحمد مش إحمد.. والخوف..
مالى وطافح.. بره القلب المخطوف.
....

* خيات: أخوة

أبنود..
كومة أُسقُف على ناس..
محدوفه ورا ضهره..
لوحدُه.. بيرجف زى النجم.
ويحس كما إيدين لامسه الكتف.
ببدن - مش متشاف -
ماشي جنبُه فى الهوا لاسْود:
- «جوده..؟»
مرعوش احمد..
زى القنديل فى الليلة الريح السودا.
- «وصيّتك ياحمد وماليشْ حد..
وانا حىّ
رميت عمرك فى الساقية وراى.
وانا ميت.. إنت حَيَاى..
وامىّ.. راحتى وبكاى.
وارمى عذابى على مين ياحمد؟..
على مين؟؟
ماتشتّش عنها.. وانت معاها ياواد عمى..
اقفل باب دمعتها

اللى بتحرق أكفانى.
وانت لم تدرَى ياخِّيى.. بقلّة راحتى.. وهمى.
قلت لّك.. قلت لّى أُسكت.
واديك وانت معاها.. بتشتّ.
حلّفت بيك أبنود..
لما رَميت نفسك فى الساقية وَرَاى.
ويوم ما خَرطَنى السير..
صرّخت..
ندهت عليك ياحمد.. فين كنت؟..
وَقفوا.. زى حيطان الجبانة المهجورة
على لحمى ياواد عمى
فين كنت..؟
ندهت عليك ياحمد فى ضلام الميتَة
مين ينتَع جوده من بير المكنة
غيرك ياحمد.. ويلّم البدن المتشندل؟.»
- «يقْطعنى ياجوده ياخوى..
كانْت اتكسرت رجلى ولا كنت بعيد.
كانت نّوارة قايده ع اللحمة
وكان صابْح العيد.

مَيِّلت عليك.. قلت لَّك وتسيبنى ياجودة؟
قلت لىّ: «أمر الله يا صاحبى..
جيتها خفيف..
وامشيها خفيف..
كان نفسى أخيِّط توبها بإيدى
وامشى ورا النعش.. أسبِّل*
وأساوى عليها بكفِّينى.
ومادام احمد فى الدِّنيا..
ترتاح عينى.»

•
•
•

قعد احمد تحت النواطير*..
الدنيا مصبوغة بالدم
الدنيا بقت حمرا ف سودا.
ويغمِّض عينه.. يحس جفونه..
بتقفل على حتة.. من دراعين جودة.

* يسبل: يمشي خلف النعش ينوح.. ويكلم الميت بصوت مرتفع.
* النواطير: جدران الساقية.

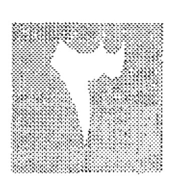
يبكى ويِنْهْنه فى الليل الفاضى:
«مالنّت يا جوده اللى بديت..
«انت خَلفْت الوِعَدة.. ومشّيت.
وانا مش طايق.
«مش عارف اقعد واصل.
راح منى البال الرايق.
مش دايق طعم اللقمة ف حلقي ياجودة.
مش عارف انت الحاصل؟..
مش عندك علم؟.
مش مكشوف انت ع اللى ف قلب الحىّ؟..
مش عارف حتى اعرف روحى.
زى ماكون نفسى
خرابة.. ضلمة.. مسدودة.
تحت لسانى تمللّي طعم الدم النّىّ..
هوه انا قصّرت..؟
طب وايه اللى يخلينى أقصَّر.؟
أنا غرمان شىّ؟..
يعنى من كُتر الناس والأشغال؟.
وان كان على ده.. آخد بعضى..

واقوم دلوقتى «لخليفة اب عبد العال»
ويعنى المُشكل هوّه خليفة؟..
خليفة ماله؟..
ده مالُه.
ونَّواره ف عينه..
واحده من ضمن الناس.
ماله هوَّه ومال النومة المش مرتاحه فى القبر؟
ماله ومال شَردَانك فى الليل؟
ماله خليفة ومال اللى انا فيه؟
قلتلْها خليفة نفَرى وغلاّط..
وانت ياسيد العارفين
قضيِّتهم على باب الله المفتوح..
لاسرايه ولا قيراط طين.
القرشين اللى من المكنة
يادوبك كانوا.. يلحِّسوا جلد الزّور.. بالزُّور
والإسم..
شغال فى بابور.
أخى قُطعت كل البوابير.
مَكانيكى.. وطحان.. وغفير..

و[illegible]ها ف كتفك وراعى له مالُه..
وا[illegible].. لما تموت..
ولا[illegible] حق
ولا ليك ام
ولا [illegible]سال..
ولا [illegible]تى من الدرب يفوت.
ا[illegible]ى الناس.
وا[illegible]م ما نْزِلها..
[illegible]ان بيفوت على باب باب..
[illegible]لم البيض.
[illegible]كنة ودكانة وقدادين..
والسِّير قَرَشَك* ..
ولا يجرى في الموضوع شيّ..
من شقّ الشمش
كان الأوسطى التانى فى المكنة.
وابنود.. شافته مانطقتش..
طب تنُطق تقول ايه..؟
مالها هيّه

* قرشك: التهمك «التهمك سير الماكينة»

ومال النومة.. المش مرتاحة فى القبر.؟
مالها ومال شردانك فى الليل.؟
مالها ومال اللى انا فيه؟
وانا طب ادينى عايز ارحل على مصر..
أمال على كده..
حتقول إيه عنى ياجودة؟.
وانا حتى بعد ده كله..
حاقولك إيه..؟



من ستّ احْوال(*)..
واحمد سماعين يتذكر ده..
كإنه حصل امبارح.
كان زى الليله ديّه..
صيفية ونيل.
فِي الصبحية..
حس بضهره مش عايز ينهض م الفرش.
قضّى ليلة امبارح فى الطَل..
برّه المكنه.
و«جوده» كان سهران.
كان احمد فى الليلة الخالى شغل..

(*) احوال: اعوام

يحب ينام تحت المكنة.
صوت المكنة المتساوى
يساعد على قفل العين.
أحمد سماعين..
كان لما يقفل جفنيه
ينعس على طول
يعنى احمد فى الوقت ده كان
حيفكر ف ايه؟.
كان جودة جوّه «طاحونةْ مَتّى» بِيْهاتى:
«ماتشيلى المقطف ده يا «بَزادَه» من هْنه
ودِّى يا «عِمرانه» القُفّه من الشقّة التانيةَ*
هاتى..
والله اتبزّرنا يا (جميله)*.
كرَمِك ده حيسدّ البيت.
بيضَة بحالها على كيلة..؟»
- «والنبى بس ما تِتْنَقْورش يا جودة..
مالها البيضة..؟

* الشقة التانية: الجهة الاخرى.
* اتبزرنا: أصبحنا مسرفين - من التبذير -.

ما طولة العمر بنطحن كيلة بالبيضة؟.
والاّ مكنتكم يعنى..
محشيّة ملايكة..؟»

وان زرجَن جودة..
تجيب له حد من صحابُه
عبد الجواد.. احمد سماعين..
حنفى.. عويضة.
- «مين اللى اتحلّ حمارها يابْنِتّه*..؟»
- «النبى ياخى ياجودة..
ما حد يحلّه غيرك انت..»

كانت أيام سهلة.. بتفوت.. وتمرّ.
الأصحاب مطلوقة ف حوش العمر
يتقّلوا* الصبح على الأرزاق

* يابنتّه: يابنات.
* يتقلوا: يتفرقون.

كل نفَر على ركن.
اللى على عود*.
واللى بْمِدْره ف جرن.
والليل..
يتلمّوا فى بيت احمد..
والاّ ف عرس..
والاّ حدا المكنه.
وساعاَت..
كان لما يكون مع واحد فيهم قرش..
يشربوا كرسى الدخان..
حدا عمران..
على مُصطبة الدكان.
كانوا دراع بعض وضلِّيلة بعْض.
اللقمة فى حَنَك الواحد.. يشبعها الأصحاب.
اتولدوا رجَّاله.. مازعلوش.
مافيش لاتجارة ولا أرض تزعّلهم من بعض.
اللى يعوز شغله من «حنفى»
يقول لاحمد اذا صادفه.

* العود: الشادوف.

واللى يشوف حنفى لوحده..
يِتْنَقْوَر قدام الخلق عليه:
«إلحقوا ياجماعة..
خروف مطلوق ع الجسر..
بلا صحاب.»

كانت أيام سهلة..
بتفوت وتمر.

ندّت ـ بنت الكلب ـ الدّنيا..
واحمد قام..
طل براسه على جودة ف قلب المكنة
لقيه نايم تحت «ميزان الحبّ»..(١)
شدّ عليه البرْده.. وولّى جِهِة الدار.
دبلانه عيونه
زاح الباب.. ورقد.
فى الصبحية..

* ميزان الحب: الميزان ذوالذراع والرمانة الذى توزن عليه الغلال.

لما حس بضهره مش عايز ينهض وياه..
قال مش سارح
واحمد سماعين يتذكر ده.. كإنه حصل امبارح.

في المغرب.. عبد الجواد طّل وقاد اللنضة الجاز..
قُرْب العشا.. خّش عويضه وحنفى..
إتْسهّروا.. وضحكوا على احمد
- «واللهى ان ما «تقّزيت*» من غير دوشة
لانجيب لك دكتور..»
والمطرح داق بالضحك.
سأل احمد على جودة..قالوله:
«فى الطاحونة..
ده قليلة ان خلّص منْها الصبح..»
حنفى.. طلّع من جيبه السكر وورقْة الشاى..
دوّرع الكنكة بعينه.. لقيها ف ركنِ..
جاب له عودين قطن..
مد إيديه يكسّرهم لما سمعواصراخ النسوان:
«ما عْرِف مين فينا اللى فتح الباب.

* يتقز: يقف بسرعة على رجليه.

جلاليبنا فى سناننا.. وطير..
كل بيبان أبنود نفضت ناسها.
جلاليبنا في سنانا.. وطير..»
«البحر جنح.. الله ياولاد
عند «العجمية» ياولدْ..»*
واحمد لم كان عيّان.. ولا راقد على فرش.

كانت أبنود..
ضلّمه ومهزوزة ف صحن الخوف.
والنَيل هايج ع الجسر..
ونازل على «كرْم الحداد»
واحمد بزعق:
- «طب ولا واحد شاف؟.
تسيبوه..؟»

طول الليل..
بالبوص والزنابيل ع الاكتاف..

* الله ياولاد.. عند «العجمية» ياولد: نداءات استغاثه تقال فى الكوارث.. وبالذات فى فيضان النيل والعجمية اسم مكان هناك.

واما نزلوا راجعين..
كانت شمس «الوقفة»
يادوبك.. رافعة دماغها لفوق.

*

*

*

الناس نسيت تتسحَّر
وكإن الدنيا مش «رمضان»
صابحين صايمين آخر يوم فى الصوم.
واحمد بيغربل فى دماغه القوم..
بيفكرٍ فى اللى اتسحروا فى البيت.
يعرفهم واحد واحد.. بالإسم
كان.. طول ما بيملا والاَّ يشيل زنبيل..
عينه بتقلِّب فى الرجاجيل.
مين اللى معاه؟.
مين اللى ماجاش؟
ليه دول قُلَباتهم ع الخلق..
ودول مش سائلين.؟
«إحنا ان جينا والاَّ ما جينا..

لا حدانا أرض ولا جنينة..
اللى حداهم.. همّ اللى ماجوش..»
الناس بِتْكُوكِر* تحت حيطان الجامع..
وسقيفة السوق..
موحولة.. ومهدودة.. ولاَّفة على بعض.
كل الناس ملمومة.. حتى اللى عليهم تار.
وابنود عارفه ان احمد عمره ما صام.
ويقولها بالحس العالى:
«أنا راجل.. طول اليوم والليل شقيان
ربّنا لا اداّنى وقت أخش الجامع
ولاحيِل.. لصْيامةْ رمضان.
يعنى عندى أمر حكومى أخش الجنة..
بس أمدّ الورقة ف إيدى
وانا داخل للشيخ رضوان.
يعنى يارجَّاله كده بالعقل..
معقول حيكون بينى وبين الرب.. حساب..؟
طب واللهى. حتى الخواجات خاشِّين..»

* بتكوكر: تتراجم.

والرجاله.. تدوق الكلمة المُرَّة وتتبسّم:
ـ «طب دا الخوجات كفار يا احمد»
ـ «الخواجات كُفَّار؟.. ده انتو الكفار.
الخواجات ياخواجة.. طول الليل
كانوا ف قلب العيَطة* .. ووسْط المشوار.
لاناموا على نسوانهم.. ولا بعتوا الأنفار.
بس اسكتوا ماتخّلوش الواحد يغلط.. مش ناقصين..
طب ده الخواجات. ساكنين على «عليّة البركة»*
يعنى لو بحر «أبوكم نوح».. مش حيطول اعتاب بابهم.
وأُهم.. لسه راجعين..
وتلات أربَعهم.. زى أخوكم كده على باب الله
لاسراية.. ولاقيراط طين.
قبل احنا ما نوصل.. كانوا هناك..
وأظن انتو تخشوا الجنة وْتسِيبوهم قاعدين.
ها.. هاى..
تبقوا تقابلونى
تبقى تقابلنى يا«حراجى ياسمّاك»..»

* العيطة: العركة ويقصد بها المعركة ضد النهر وجهه المنيمين بها.
* علية البركة: الجسر الترابى العالى الذى يحيط بالبركة

قعدوا اللاّربعة على مُصطبة الدكان..
حنفى.. وعويضه.. وعبد الجواد.. واحمد سماعين..
والمخاليق.. تزحم وتفُضّ.
ـ «جوده عاد للمكنة ياعب جواد؟.»
ـ «عاد..»
ـ «لمحته ف هوجة الشغل..»
ـ «أمير...»
ـ «لف على الأرض وجَمّعَ الرجّال..
ووَسَق* طواريهم فى حمار.
وقبل الناس ما تعاود..
كان راجع كَرّ على المكنة..»

أبنود كلها تحت الجامع..
وابتدت اللّسياخ تنزل من ع الدكاكين..
رجّال عرقانه.. وغرقانه سراويلها ورقابيها طين
عمّال تتكلم بحماس وتظاطى.
والعيابيل لسّه مانامت.

* وسق: جمع وحمل.

وولاد لسه راجعين من فوق
اللى بفاس واللى بزنبيل
يلقوا «احمد» عند الدكان
ييجوا قاعدين.
الناس نسيت «رمضان»..
واحمد.. قاعد يتفرج فى أهالى ابنود:
«مُسْرَع م الناس كانت ع الجسر.؟
عمرى ماشفت بلد زى بلدنا..
ما يجمِّعها غير الهمّ.»

ويسلمّ «عبد التواب دومة..» على احمد
بالحسّ العالى.
يشد دراع احمد يتشد معاه.:
«يديك العافية يا سبْع ياوادّ السبْع..»
واحمد يضحك بعنيه..
ويمط شفايفه.. يقلد «عبد التواب..»:
«شوف ياخى الكدب..
بقى دى ياهبل دراعين سبْع؟

بقى سماعين ياخلايق الله.. كان سبع؟.
وحياة النبى ما حاتعمى غير م الكدب
ياوادّ الشيخ دومة..
مش حيتوب عنك. وتبطل كدب ياعبْ تواب.؟»

وتفوت الليلة ف بال احمد.. تانى:
«واللهى.. الدنيا.. لسه بخير برضه ياإخوانى.»
وعويضة يزوم زى المعتاد:
«ما هو همَّ همّ بتوع المرات دُكْهه..
هم بتوع المرة دى.
مين اللى جدّ..؟
«حسن الحدّاد».. كان..؟
«مَالك صابر».. كان..؟
واحد حتى بزوره* من «بيت العكرش».. كان؟؟
«سعدون».. جرَى ع الرجالة حافى
ـ مثلا يعنى ـ .. وساب الدكان.؟»
ـ «أهو بعتوا الانفار اللى حداهم ياعويضة..

* بزوره: بمفرده.

كتر خيرهم..»
ـ «الأنفار.. الأنفار..
ما هو دول.. لو عنديهم مش عنديهم جايين.
وهوّه.. حد بينهض فى الزنقة
الاّ الأُجَارِيةّ ياواد خالى.؟»
و «عويضة»
الكلمه تطلع مهروسة من تحت ضروسه:
ـ «النبى ياحمد بسّ.. تخللى الطابق مستور..
والاّ عيال العمدة..
إلا ياخواننا دُول.. جُمْ ليه؟.
يمكن إشراف ع العملية..؟
ها.. ها.. هاهاى.»
يطلع صوت من زَحْمِة تحت الجامع:
«وهو اللى ييجى عاد ياسيد ابوك..
يقعد تحت حيطان جامْع العمرى.؟»
«امال كانوا جايين ليه..؟»
ويرد عويضه بضحكة غيظ:
«ماقلنا من أولْها.. نخللى الطابق مستور..»

* يربطوا: يوسخوا.

ويضيّق حَنفى عينيه م الضحك:
ـ «لأ كنت عايزهم يدخلوا فى الزيطة..*
ويزبّطوا* لاتْواب الكستور..؟
اما انت قليل العقل صحيح..»
ويرد عويضة بصوت واطى.. كإنه بيسمع وعظ:
«منكم نتَعلِّم..»
«ها.. ها.. ى..»
* وتقوم الناس م الضحك وتقعد قدام الجامع.
وتفوت الراحة..
زى النور ع الأرض..
فى وش الشبان.

فى الوسع الممدود للعين.. قدام الدكان..
احمد كان
قلبه فايض بالحب
لإيه.. كيف احمد يعرف؟؟.
الدنيا برْحة..

* الزيطة: الأوحال.
* يزبطوا: يلوثونها بطين النهر.
* قباعود: جمل صغير.

يرفع مناَخيره لفوق.. يملى خشاشيمه هوا
يحس بْوِسْع فِي صدره وباطاته راقده على شيّ.
بدّه ينام على خُضره..
بِده يطير فى دروب أبنود
ويبرطع زى قاعود*.
بدّه يجرى.. يزعَق بعلوّ الحسّ.
يحس بإيده عايزه تفتح كل بيبان ابنود.
وتسلّم على كل الخلق.
نفسه ياخدهم فى باطاته..
يغنّى ويرقص للصبح.
يقعد.. ويقوم.. يقعد.. ويقوم.
إحمد مش عارف عاوز إيه بالظبط.
ده الوقت اللى احمد بيحسّ بنفسه.. وبالدنيا.
ويحب ابنود.
دايما منتظره الناس منه..
اللى ماحدش غيره يسّويه.
واحمد سماعين مش أعفاهم
مش مصروف على بدنُه قد الباقيين

* القاعود: الجمل حديث الولادة.

لكن وابنود فَرَّازِة رجَّالة..
بقى ريِّس لكن من غير.. فُعَلا
يكفَى يهلّ على الجسر.
«وكإن النيل ان هاج..»
«ان وجِّت نار..»
«ان مالت شجرة ولا رقدت دار..»
«يبقى ده حاصل علشان..
احمد سماعين..»

•
•
•

من جهة الكرْم..
ومن شقّة(١) «قهوة مطرود»
هلّت ميّات العيابيل. بتغنى..
ووراها دبايح العيد.

(١) شقة: جهة

كان حنفى الجزار متحزِّم
وف إيده العجْل المتلجِّم..
وبيصرخ من قُقْع نافوخه* والولْد ترُدّ:
- «يستاهل..»
- «دبح السكين..»
- «والزيْن حدا مين.؟»
- «حنفى الجزار..»
- «وده موْسم مين؟.»
- «حنفى الجزار..»
- «إلحق يافقير..»
- «حنفى الجزار..»
- «يستاهل..»
- «دبح السكين»
واتملت الدنيا غبار وعيال
فاتوا من تحت «سقيفة السوق..»
ومن السُّطح..
هجِّت زَغَاريت* جاية من فوق..

* قفع نافوخه: من أعلى قمة رأسه.
* زغاريت: زغاريد.

ضحك «العطعوطى».. بسنانه الصُّفرين..
وشُّه المتكرمش.. وعينيه الخُبَثا..
وغطىّ الساحه بحسُّه:
«لا حنتفرج ع العجْل ياعم ولا نعسُّه..
تدبحه بكره قدام الناس
واهو بعد يومين يطلع م البيت
مطلوق فى السوق..
هُوّاه.. نفسُه.
قدام الناس والله ياحنفى.. قدام الناس.
تدبحلنا ده..؟
ليه؟ واحنا ياحنفى كُنّا أفنديّات والاّ من مصر..؟
لكن برضه «ياواد خالتى»* ولايهّمك.
ماحنا طيْلة الدّنيا..
عايشين ع الماشية الكَسْر.»
ويزمجر «حنفى» ويتضايق..
يرعبه ضحْك الرِّجَّال..
رغم انه عارف «العطعوطى» كيف طيب وابن حلال.
يُقَف الموكب..

* ياواد خالتى: تقال فى بعض الأحيان دليل الصداقة الشديدة وليس القرابة.

ويمرجح حنفى فى إيديه السكين:
«دلوكَ يعنى «يابن الفرطوس❀..»
عاوزنى اقلبها عليك بالعكننة..
حتى واحنا على باب العيد..؟
لا أدب ولا تربيّة.؟
لكن حتجيبهم من فين..؟
امّك «حلبيَّه»❀ وابوك «شحّات»..
وتميل على بعض الرجاله..
- «هه.. ما ترد يا عطعوطى..»
- «هوّه العطعوطى صُح أبوه.. شحات؟»
- «امال ليه قالوا أبوه سقّا..؟»
- «بس حكاية الماشْية الكَسْر دى برضه
واعرة قوّى يابوى»
يقف العطعوطى..
- «آه يافروخ..
كل اللى معاه بوصة والعة.. نفسه يشعللها حرايق..

❀ ابن الفرطوس. شتيمة غير محددة.
❀ حلبية. غجرية.. والحلب جماعات تعيش على هوامش القرى ويعاملون كمواطنين من الدرجة الثالثة.

اقفل خشمك يابن البايرة انت وهوّه..
لاقفلهولكم بجالوص طين..»
وحتى العياييل مستنية آخر «العلْقة»:
- «غلبُه..»
- «ماتروح.. ده حنفى هوّه المْش فاضى.»
- «بس العطعوطى لسانه فرقلّة..»
ويقول عطعوطى بالحس العالى ينهى الموضوع
- «بس ياواد انت وهوه..
ولْدوكم ع البرْكة..؟
لسانكم محشى زَفَارة..؟
عنك يا حنفى..
يجعلها سنه مبخُوته❀ عليك
و «على اللّى جابُوك».

وينط فى قلب الزفّة
ويمسك حبل العجل المتحنّى.
ويشدّه.. وينادى.. ويضحك..

❀ مبخوته. سعيدة.

والوِلْد وراه:
«قولوا ورايا ياولاد الرّفضى..
يارُمان احمر وجديد»
وترد الوِلْد
«بكره الوقفة وبعده العيد..»
والوِلْد وراه.. والناس تضحك..
- «مين عنده سمين.؟»
- «حنفى الجزار..»
- «تشتروا من فين..؟»
- «حنفى الجزار..»
- «وتقولوا يامين؟.»
- «حنفى الجزار...»
- «إبن الملاعين..»
- حنفى الجزار..»
والضحك يغطّى الدنيا.. وتمشي الوقفة..
والناس تستنى العيد.

فى اليوم ده..
واحمد يتذكر ده كانه امبارح
اتجرجر من «زوفة الوقفة»(*)
من غير ما نَفَر يدرَى..
إتْسَرَبتْ(*) من ورا بيت العمدة
ع الكُتّاب.. ع البحر.
قلّب وعدل بعينيه الجسر
قلبه اتندّى رضا
واتقسمت روحه عن فرحة مؤمن.
كان الجسر لوحده..
نايم ع الأرض بطول البحر.
هايل.. ليه هيبه.. وماحدش حواليه.
الناس سايباه.. للعيد..
واحمد عمره ماهمُّه العيد ولا فكر فيه
اللى يعيّد فى السكة يرد عليه.. وخلاص.
بَصّ على التوب اللى اتنسّر على كتفه من شغل الليل.

(*) الزوفة: الزحمة التى سببها فيضان النيل ووقفة العيد.
(*) انسربت: تسلّل.

وفْ لحضة.. طلع الجسر ف خطوة..
قلعُه.. ورمى جسمه في المية الحمرا
وراح - زى العيّل - .. تنّه يجرى..
ويلعب فى الميّة لما.. اتهدّ.
ساعتها بس احمد حس انُّه ارتاح.
وطلع.. والشمس حمِتْ..
لبس السروال والتوبَ
ونزل فى طريق البيت من ورا أبنود..
فى سكك مابيمشيش فيها حَد.
وما يعرف كيف..
لما «البتّ» حدَا «الجماميز» صرخِت:
- «خال.. إطلَع طير.
إطلع يالله ياخال احمد طير».
- «ايه اللى جرى..؟»
- «عمى جودة ياخال أحمد - يامرارى -»
- «ماله يابت..؟»
- «نَهشُه السِّير ياخال احمد - إلحقنى -
نهشُه السير..»
ما طلعْش احمد طير ولا حاجة..

جَهْ بَارِك.. كده زى ما هوّه - بحالُه بمالُه -
على عتَبة بيت.
ولا عارف ايه قالت.. ولا فكّر فيه..
ولا قادر ينهض.. ولا عارف مين جوده..
ولا فين السير..
بَرمِت وياه الدنيا ع الارض.

والدرب..
واحمد زى البحر المطلوق..
يشوفوه يقفوا.
«م اطْول مشوارك ياطاحونة..
إخْص عليك.. إخص ياجودة
ودى عَمْله تعملها ياراجل؟.
راسى اندارت.. يخرب عقلك..»

«زى حيطان الجبّانة المايلة ياجودة..
ووقعْت وَراك.. وغَرقْتك لحم.
طليّت فى عنيك وندهت
«جودة...!!»
ورفعتك وفرشتك قدام باب المكنة
كما إردبّ الغَلّة المدْشوش.
لم كنت شايفهم.. ولا عينى اتبلّت..
ولا كان لى رغبة ف دمع ولا ف كلمة.
كان نفسى تضحك ويّايا.
كان متهيألى حتقوم على رجليك.
نمشى.. نهجّ.. نسوىّ شىّ وبس.
جودة العفريت..
معقول ماتقومْش؟.
بصراحة ياخَيّيى..
ماخطرش ف بالى حكاية الموت
ولا كان ممكن.

ـ «جودة..؟
وتسيبنى ياجودة.؟»
ـ «امر الله ياصاحبى.
جيتها خفيف وامشيها خفيف.
كان نفسى اخيّط توبها بإيدى.
وامشى ورا النعش اسبِّل.
وأساوى عليها بكفيّنى..
ومادام احمد فى الدنيا..
.. ترتاح عينى.»
وصرخْت يوميها زى المجنون.
غرقان ماسك قشّة:
«جودة واللهى بخير.
خالة جميلة.. مش جودة بخير.؟
مش ليلة امبارح
كان مالى المكنة ضحك ونَقَاوير؟.»

«ماقابلنى غير الدمع.
ماقابلنى غير الناس الساكتين.
حيطان الجبّانة المايلة ياجودة.
وشالونى
البدن المقطوع مطبوع على توبى.
أخوى وحبيبى.
كانوا صحابك يُتمًا.. فى إيدين الناس حواليك.
واتملت الدنيا حكومة ياجودة.
والعربية الفَقْر
شالوك حُكَمات البندر.
لم حد واسانى بحرف.
لم قبضّنى تَمنَك حد.
خطْف.
وعدنا.
ولم كان يومها ف أبنود..
إلا عويل «نواره»
لَنْضِة حزِن..❀
فى بير..»

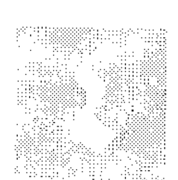
❀ يربطوا: يلوذونها بطين النهر.
❀ اللنضة: هى اللمبة.

●
●
●

واتطفى جوده.
واتطفى درب طويل يا احمد
مادد فى حياتك قدام.. وورا.
واماّ خدوك المستشفى فى «قنا».
«تستلموا الخَلَقة» الملموم فيها لحْمات «جودة».❀
كان دى أول مرة بتركب قطر.
أول مرة تروُح بندر.
واما رجعت من الجبَّانة..
سايرين فى العيد بالمعكوس..
بالنعش الفاضى والناس الخربانة..
«نُواره» ف يَّدك للبيت.
لم عاد للُقمه حلْق.
ولا للفرحة باطْ.
ولا للسكة عينين..

❀ الخلقة: قطعة القماش القديمة (الخرقة).

ولا معنى..
ولا أمر.
وابنود.. ضاقت.



من ورا عينُه الصاحية المقفولة..
كان سامع صوت الدرب بيصحى
العصافير بتصاصى فى الصبح
لون الدنيا بيفْتَح.
مدِّد رجليه وطواهم.. مدّدهم وطواهم.
مرت ليلة امبارح فى دماغه.
فكرْ فيهم: «نوارة» و«خليفة عبد العال»:
«هيّة نواره كده..
لابد تصحّى «جودة» فينا ان حسّت بينا
غفلْنا عنُه..»
وفَكَر كيف رجع الدكان..
وكيف لمّا ضحك «عمران»

.بعدما ملَّس على كرشه بكفه:
ـ «مش حتروحوا بكره تجيبوا صَبَخْ.» ❀
بِّص له إحمد بعينيه التعبانه.
وفى الحال..
«عمران» شاف احمد مش صافى البال.
«أُقعد..»
رفع البنك❀ وخَش.
وطلع م الدكانه فى صوابعه باكو الدخان.
شدُّه من ديل الجلابيه:
«والله ما تِسْوى التكشيرة يابو سماعين.
أُقعد.. إفردها. يفكّ ضيقتْنا جميعا..»
ولِعِب تانى فـ كرشه عشان احمد يضحك
ـ «ضِيقة وتتفكّ يابو العم
الله يامّه يريّحلك نومتك ياظريفة.. ياعال..
من وانا عيِّل.. قُلتى لىَ الخَلق ياولدى صنفين..
واحد شيّال هَمّ.. وواحد.. وكَّال❀

❀ الصبخ: السباخ من طفْلة الجبل.
❀ البنك: غطاء الباب الداخلى للدكان.
❀ وكال: لايهتم إلا بالاكل

حتفكّر.. تنْشف.. تاكل.. تتبرّ.
وان جاك الهَمّ ياولدى طيّط له وهشُّه.»
وبجسمه كله ضحك.
ضِحْكه غليضه كَإنها طالعة من كرشُه.

اتعدل احمد ع الفرش
بص بعينه لفوق «للعقَدْ» ❀
عَدّ «فْلاق النَّخل» المرصوصه فوقُه❀
من هوه ظغيَّر.. كان بيعدّ فلاق النخل.
أحمد لم يعرف غير سقفين:
سقف البيت ده
اللى بناه سماعين بإيديه..
علشان يتجوز «يامنه» فيه
والسَّما..
واحمد يغوى النومَة بَّره ابنود.
غير دول لم غطّاه سقف

❀ العقد: السقف.
❀ فلايج النخل: الانصاف الطولية للنخل وتسقف بها الدور هناك.

واتهيأله لمح وِش أبوه الميِّت فى زحام
طيب.. مهدود.. ساكت
عينه... خشمهُ
والكراميش المضفورة فى الوِّش البُنى زى الخوص.
واستغرب لِزْوارة ابوه.
اللى ما بيزوره إلا فى النادر.
«أشبه بالاسم الملفوف فى قماشَة»
«الخُرج اللى بتهزّه حمارة التاجر»
بص احمد فى إيديه المتدليَّة.. ف قدمينهُ.
لم كان احمد بيحس بشئ إذا شافه..
ميت أو حى..
كان بس بيملاه لاسْتغراب..
تملاه ال «ليه؟» الفاضية الغبشة العريانة..
بِعْتم ويطُول المشوار اللى ما بين الوالد والإبن..
ده ناس.. وده ناس..
كَحْرَت عينه على كل الرجالة ف سنِّ أبوه.
لقاهم ماشيين ساكتين.
كل الكبّاره ف أبنود.. «سماعين»
كَرْم النخل المحروق القلب

جسمه رَعَد واتهز.

سنتين وتلاتة.. ياعويضة.. ياحنفى.. يا عبدالجواد.
تمشوا من المخْول للبيت.
الشقّة تزمّ وتفَتح ع الفاضى..
فى مافيش.
تنطفى شمعتكم من غير سَن.
«عبد الجواد» يصبح «سماعين».؟
النبى حاجة تِخْبل وتجن.

●

●

●

كان عمران امبارح..
عاوز يبسُط أحمد بايُّها شكل.
لكن وشه كان
فيه ومافيش.. زى الدكان.
رصِّ البّص وشد الغابه.. وقدّمها:

- «واللهى ازعل»
مد احمد إيده وشدّ النّفسين.
كحّ.. ودوّرها تانى على عمران.
- «فين عبد الجواد؟.»
- «عدّى دلوقت خليفة اب عبد العال..
وَخدُه معاه.
السّرحة بكره ف أرض خليفة»
- يعنى مالقيش الا خليفه؟.»
وقام عمران يسحب ورقة شاى لِنفَر واقف.
ورجع.. وقعد..
دراعاته اتمدت على كتافات احمد
واحمد
هربان فى الليل المسقوف الفاضى.
وفانوس دكان عمران المتمرجح
يفرش نوره ويلمّه ف نفس الوقت.
واحمد برّه وجوّه
جوده.. ونوارة
مصر وأبنود
لاتناشر قرش ووشّ خليفة اب عبد العال

البيت الفاضى والسوق
حسّانى وابوه الأعمى رحاب
حسّانى وجودة.
حسّانى ونفيسة.. وهوّه
- «أحمد..»
- «آيوه يا عمران»
- «مالك ليام دى بس ياواد عمى..
ده انت العاقل فيهم يا احمد..
طب والناس.. لما يشوفوك مايل فى الهمّ كده
حيقولوا كيف..؟
تكون ياد عاوز تتجوز..؟
طَب وحياة النبى ما تقول
لَمسافة جمعة تكون عندك..»
ضحك احمد:
- «بالك خالى ياعمران.
آدى الناقص.
طب ماتجوزتش ليه انت يا صاحب الدكان؟»
- «أتجوز.؟
ليه كنت غشيم.؟

ويا خيبه تكون فاكر اللى ف بلدك
ياد.. دى حريم.
ده خشب سُنط
واللهى ان ما كانت ملّبن.
بيضا زى القشْطَة.
وآخدها اسوىّ بيها كيف؟. واعمل فيها إيه..؟
حطبة سُنْط يامولانا
حطبة سنط.
أولّع بيها الجوزه؟.
علي نياتك.
ده انت لو رحت «قنَا» ف مرَّه»
ويشد بإيده قَبّة توبُه ويملا عِبُه غرور.
ـ «ماتقوم ياد تخطُف رجلك يوم الجمعة معاى.
تشرب لك قَرْعة بوظة..
ثمَّ تخش وتنهى الموضوع..
ده بنصّ ريال.
تيجى وشك زى الشمش وعضمك مفروط.»
قام احمد

والبسمة الحزنانة متنيّة ع الشفة.
ـ «لَوْ جِهْ عبد الجواد
قوله ياجينى يا عمران»
ومشى وصوت عمران بيكُرّ وراه:
«النبى ياحمد عامل نفسك فَهّيم ونزيه..
لكن خيبان.
خليت ايه لعيال ابنود؟»

●
●
●

٥

دايما متهيألُه..
فيه ورقة شابكة فـ ورقة.
فيه ورقة وسط اللتناشر مش معدودة.
واما يخلِّص عدّ
يخجل.
مش عارف ليه يخجل.
ويرصّ الورقات زى ما كانوا.. ويقوم
ويلفلفهم فى قماشةْ الكتَّان
ويروح على «زَرَبْ الكرْم»* فـ قلب البيت.

* زرب الكرم: الزرب نوع من الأسوار الشوكية فوق جدران البيت.. لحمايته من اللصوص والكلاب.

ينكُتْهم وسط السِّلاع* والشوك..
ويعود.
أحمد فى المره دَهِىْ
بعد ما حطّ المية وعشرين قرش
وقف على باب الكرم.
لمّا خطر ده فى باله.. اتردّ وَرا..
زى يكون أعْمى واتسّط فـ حيط.
وطلع رَمْح لبرَّه
كإنه بيهرب من راسه.
شال المقطف والفاس زى الملسوع*
ووقف ع الباب فى الدرب..
يُنْتُر من راسه الخاطر:
- «إلاَّ الكَرْم.
إلا النخل..
أبيع النخل..؟
دى تبقى مصيبه وحلِّت م الأربع ترِياح..»
والدرب المتترَّب دايق بالناس..

* السلاَّع: شوك النخيل.
* الملسوع: من لدغته عقرب.

وبصوت الصبح.

وسمع عبد الجواد.. جايْ بيموِّل من على راس الدرب
إتقَّدم لُه.. وخَطَر وَيَّاه
- «مش قالّك عمران تبقى تيجينى.؟»
- «مانا عاد ماعاودْتش ع الدكان..
الليل كان متّأخِر قلت الصبح..
وروّحت.. ونمت.
مانا عارفك مش مربوط على حُصّة حدّ.»
- «تقوم مالقيتش إلا خليفة؟»
- «ماله خليفة؟
أهو كله حِدا الطحّان غلّه.
كيفك ياحمد..؟»
- «عال..»
- «واللهى ماعال ولا شئ..
كل ما قولّك قُولَه تقوللى عال.
بتسكتّنى ياواد عمى.؟

قول وانا شيّال.
العين تبقى عينين والإيد إيدتين يا احمد.
خلاص.. ماشى ماشى..
متدايق منِّينا.. مش راح نمسك فيك.
بدرى كانت الشوره تجيب وتودِّى..
وكان لينا الكلمة عليك»
- «ودلوقت ياعب جواد.؟»
وعينيه عامت في الدمَّع
«أنا عَارِفَ عاد يا احمد..؟
واللهى ما عارف.
مش عارف بتدِّور كيف الكلمة ف راسك..
كيف..؟ أنا مش عارف.
مش قادر اقول لم عُدنا صحاب
مش قادر
واحنا لسَّه
بندخل وبنطلع من نفس الباب.
مش قادر اقول اتغَّريت
صابكَ كِبْر.
أبدا يا احمد

مناخيرك ماترفعتِّش على دْمُوع الخَلْق(*)
قيراط ولا شبر.
طول عمرك خى لخياتك
أصغرهم واكبرهم ياحمد.
المتعلم فينا
وبتاع اللُّوح والحِبر.
حَقّه..
باطَك زى ديوان العز
مفتوح للرايح والجاىْ.
للواطن والعابر.
إيه اللى جرى اليام دى بعينها.؟
انا مش خابِر.
أسكت.؟ ماقدْرش.
أتكلمّ.؟
قدامى صندق جامع
مش طالع ع اللى ف قلبه
غير الطالع.»

(*) دموع: رؤوس

كان عبد الجواد
ماشى جنب احمد
ع الجسر الواسع
زى الطير المحبوس
قلقان
رجليه تخبُط ف احمد
فى الأرض.
وعينيه متبعترة فى الدنيا الصبح
وقايدين نار:
«طب قول.
يمكن ننفع.
يمكن لنا عوزه.
مانعْدمْش.
اللىَ يقدّرنا عليه.. برضه نساعد.
الصاحب ياسيد العارفين
حرِزْ وساعد
وانا عضم ضلوعى
رْويان منّك ودّ وعُمْر.

أسْكت.؟
أبكى..؟
أَحلف لك على حيط الجامع..؟
طب واللهى ياشيخ
إمبارح كانت طالعة معايا
الفّ بْنود..
مُطرح مُطرح وسقيفة سقيفة
وأقول للناس على حدوتة سفَرَك على مصر.
إيه رأيك.؟
وأشوف.»

وسكت
لما لمحت عينه ناس جايين.

واما الناس عدت
كان عبد الجواد واحمد لم فيهم قول.
مشيوا سُكيّتى.

ولحدّ الأرض..
لم فى خشومهم طقّ لسان.
كان احمد قهران قهران
وكلام عبد الجواد عمّال يُنفض فى عروقه
ويتحطّ ف راحته ويتشال.
وعينيه
ناقرة تحت السُّنط العالى هنا..ك
(خليفة ابْ عبد العال).

الفصل
الثالث

كرْم النخل

١

في المغرب..
تفُرط جتّتها ف حلْق الباب.
كل النسوان في ابنود في المغرب..
تقعد ع الاعتاب.
وكلام المغرب لون المغرب
هَدد اليوم.. واستنظار الرجالة.
سيرة الميت.. واستُفكار الأحباب.

لكن «هيَّه» ماعادتش.
إفتكرت سنة واتنين وتلاتة وعشرة.

كل ما كانت بتفكر فيه أكتر..
كل ما غاب.
ع العتبة بَلَغْها خبر جيزته❀ من مصر.
ع العتبة بلغها اسم الواد الأول..
والتانى..
والتالت..
والبِت.
فضلت تحكى فيه يحكوا معاها ويلتُّوا وتلِتّ.
في الأول كانت محسورة عليه في الغربة..
اللقمة تقف في الحلق..
إن مسكت حتة لحمة في إيديها تبكى.
وهيّه بتعجن تبكى.
وهيّه بتطبخ والاّ بتنقىٍّ الغلهَ..
والا تقشّ تراب البيت بالجرباحه❀
طول اليوم زى الساقية النوَّاحه.
تدمع وتعدِّد واما تعدِّد تبكى..
وتصدّق م الشمس تصفّر..

❀ جيزته: زواجه.
❀ الجرباحه: مكنسة من سعف النخل

علشان تقعد ع العتبة فى الدرب..
تبكى وتتكلم..
ماصعيبة يافراق لاحباب.
سنه واتنين وتلاتة.. وعشرة
لما عرِفْت - فى الآخر - إن الغايب غاب..
قالت: «ماعلشى يا حسّانى».
وخلاص.
وماجاتش السيرة فى لسانها ف حلق الباب تانى:
«كإنه مات ياجماعه.
كإنى لما ولدته قعدت عليه.
كإنه نزل ميت.
ما هى كل الناس بتموتلها ولد...»
ويوميتها ماردتش النسوان..
ماقالتشى بعد الشر.

وماكانشى ده اليوم اللى حست فيه بفراق حسانى.
من بدرى..

بس الإبن يضلّ الإبن.
يضل الحتة من الكبْد.
واهو إحمد بقى عال..
ماتت «يامنة وسماعين»..
وسابوه لليتم.
وعشر سنوات و«نفيسة البسّ»
تغيب وتغيب وتنط الحيط
وتدوّر على إحمد.. وتعسّ.
تغسل له التوب الدمّور..
تملاله اللنضه جاز.. علشان ينعس فى النور:
«إحمد راجل..
ولدى حسانى فَرْخ..
الدنيا مقلوبة..
المحتاجة للإبن يفرّ.
والمحتاج للأم تِفرّ..
حكَمْ.»

كان اليوم واحد
يوم م الولدين دخلوا ع البتِّين
«سماعين ورحاب»..
«يامنة ونفيسة».
من غير ولا طبل وزمر
وحتى ماغير ماحدّ يحس
جَوَّز «عبدون» ولدينُه..
«لبنات البِسّ».
«حسانى» يكبر (واد خالته واد عمه) سنتين
وما كانشى للراجلين شغلة يوم ماخشوا
ع البتِّين.
كانوا عيال:
«واحنا كنا عيال..
ولا كنا عارفين إيه يعنى جواز.
سماعين ورحاب اتعاونوا وبنوا الأودتين.
دخلت أمى فى الأول على يامنة
وبعدما خلْصت منها جات.
هوه احنا حتى يا خيَّاتى كنا بنات؟
ودخلْت الأودة.. فرشولى ع الأرض.

دخلت أمى وف إيدها رحاب.
حطِّتنا على بعض..
خايفة ومنفوضة زى ما كون فيَّا مراريا..*
مش كنا عيال؟
مسْكته من نص صباعه.. ومدت له إيديه فيا.
صَرخْت...
والدم يكَبْكِب..
ست أيام أدلق فى الدم.

وأبونا كإنه صدّق ما تجوزنا
ومات.
وبقينا
بس فضلنا اخوات.
اللقمة تتقسَّم ع الأربع ترواح.
بعد خمس تحوال لولا ما حبلْت..
وجه سُخماط الطين.. «حسانى».
ويامنة جابت احمد بعده بسنتين.

* مراريا: ملاريا.

ياريتنى قعدت عليه يا حبيْباتى وريَّحت.
ياريت.
وانا عارفاه عاد يطلع فَرْخ وإبن حرام.؟
كانت امى طولة العمر تقوللّى طبيخِك عادِم..
مابيتمرش.
امال لو عاشت لما تشوف الخِلقة اللى تسرّ القلب.
آها.......ه..
لينا رب.»

●
●
●

كل النسوان فى الدرب..
عارفه ان نفيسة تحب احمد سماعين.
الغالية تشيلهاله.
واحمد كان حاسس بيها كإنه من بيت.
خالته بقيّة ناسه.
كان م الموسم للموسم يشترى رطل اللحم..
يتعشى هناك.
ومن يوم ما عَمُّه «رحاب» جاتله «حكاية عينُه»
واحمد حسّ بواجب مِرْواحه تملى هناك.

بتّها متجوزه فى «الكلاحين»(*).
والواد «حسانى» غرق خبُره ف بحَرى.
والراجل من يوم ما نْضَرّ..(*)
وقعد قعدة تحت الحيط.. جنب النسوان..
والبيت اتَسدّ من الجنبين.
كان نجار.. بيدق تروس وسواقى وفيسان.
طول اليوم كان تِسمع تخبيطُه فى الدرب.
حتى الناس سمّوا الدرب هناك «درب النجار».
كانت الحالة ماشية وعال.
ولاتخْلى م البيت اللقمة ولام الجيب الدخّان.
وقام م النوم صُبْحيّة..
لقى عينه وجْعانَة وبتخَرخِر فى الميّة.
جابوله «جُنزارة»..
و«خَبَطْ سنط»(*)
ماخادتش اسبوع..
والعين اتصفّت
نضُره اتحاش

(*) الكلاحين: اسم قرية هناك لاتبعد كثيرا.
(*) انضرّ: فقد بصره
(*) الجنزارة: حجر بنفسجي يطحن ويخلط بالكحل وهى دواء شعبي للعين، وخبط (*) السنط: أوراق شجرة السنط الدقيقة تستعمل علاجا للرمد.

راح المستشفى فى قنا.. وصرف القرشين..
ورجع يقعد قعدة تحت الحيط جنب النسوان.

أكتر من سنة ورحاب مانطقش..
كان زى المتوول:*
«نايم بيها عال.. ايه اللى جرى.؟.»
وقالت الناس..
«خنزيرة بير الهّوارى*»
من خشب الجميزة بتاع «الشيخ حمبول»*
و«رحاب ابْ عبدون» كان عارف
«الشيخ حمبول» صبَّحه مش شايف..»

* المتوول: المذهول.
* الخنزيرة: قاعدة من خشب الجميز توضع فى قاع البئر قبل بنائها.
* قالت الناس أن خشب بئر «الهوارى» من خشب شجرة الجميز التى تظلل «مقام سيدى الشيخ حمبول».

قالوا كلام ياما..
وقالوا وَصْفات..
لكن نضر الراجل
كان مات..
وقعد قعدة تحت الحيط جنب النسوان.
سَنَة حولْ لم طَقْ لهّ لسان..
ولا حتى قال آه..
هيّه الكلمة اللى فضلت لازقه ف خشمُه
وكإنها مدقوقه بمسمار:
(دى حاجات ربنا.. كيف يعرفها المخلوق)
(دى حاجات ربنا.. كيف يعرفها المخلوق)

ونفيسة البس..
ماعرفت كيف مشت الايام..
والواطى ابن الـ..
عرف ان أبوه..
ولا قال ياجواب بسلام.
ورقة بوستة بقرش.

في الليلة القمّارىْ تطلع ع السطح:
«روح يابنى
تخونك ضلمة بطنى..
والتسعة شهور..
وتحير وتدير..
حسانى ابن نفيسه يارب.. يحير ويدير..
لمْ يلقى طريق.. إلاّ لْجاى.
فكّيت شعرى ياحسانى ودعيت.
ياوليدى
يخونك برّى وسهر الليل.
وتخونك قلّة راحتى..
ده حتى ياربى هوّه غير البت.
ولادته كانت صعب..»

ليلة تدعى له وليلة تدعى عليه..
وتحايل ربنا وتحايله..

إنه يعود.. مارجعش..
غرْقت منها المجاديف.

«لولا احمد سماعين فى الدنيا..
كنت عملت فى نفسى حريقة والاّ اتجنيت..
قال مصر..
الخصىْ على أصلك ياخسعْ.. واخصىْ على مصر
كسبوك منى بنات القحبْ..؟
أصلك واطى.. ودون.»

●

●

●

وابتدا فى الاخر يتكلم..
والنسوان طول اليوم الرايحة والجاية..
ياخدوا ويدوا مع «رحاب».
وازاى عدّت ليّام ع «الاعمى ونفيسة البس»
والنسوان تعبت تسأل وتعس.
قالوا: «يكون البت بتبعتلها حاجه..؟»

طب دى متجوزة راجل بيبيع كمّون
يمكن بالحتة بعشرة.
ومن السوق للسوق.
يكون احمد سماعين.؟
يمكن إحمد.. ما هو إحمد فالح
دايما سارح ع الشغل
ووِلا أم وراه.. ولا أب
وصحابه.. الوِلْد المعدوله
فين فين لما بيروحوا شِقْ السوق*
يمكن بيحوِّش.
لكن فى الآخر نسيوا حكاية «خنزيرة البير
اللى من جميزة الشيخ حمبول..»
وقالو: «البيت ربنا طارح فيه البركة..
«عم رحاب» بركة.. واحمد بركة..
ونفيسه كمان دى بركْة البركة..
آه.. يرحم «عبدون... والبسّ..»
بس احمد عال.»

* شق السوق: جهة السوق.

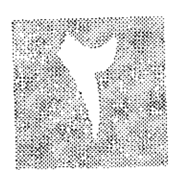
وحقيقة ان احمد سماعين ماحوِّجْهاش.
تغسل لُه التوب بديها صابونة من الخُضر
من ام الحتة بحتة بقرشين.
ياخد كيلة غلّة أُجاره يقسمها معاهم.
وماتنزلش اللقمه ف جوفه بلاها* وبلا صحابه.
كانت خالته غالية عليه.
شاف امه بتحبها كيف.
وإى ما قول كده كان بيشمشم فيها
ريحة من ريحة أمه.
وشافها بتبكى على «يامنة» كيف..
وكمان كان نفسه يبطلْها «حكاية حسانى».

وماعدشي حسانى فى عتبْة الباب..
حسانى فى مصر..
وغاب..
حتى اسمه.. غاب..
رجعوا يقولولها تانى: «يانفيسه».

* بلاها: بدونها.

كانت قاعدة على العتبة لما احمد جه..
سلَّم وقعد.
مسّى على «عيشة» و«مْرت ابْ سحلول»
- «إزيك ياحمد؟»
- «خاله..
عندى شوية كلمات.. عاوز اقولها..
قومى نخش البيت..»
- «طيب ياحمد..»
قامت من ع الفرش
وسندت ضهرها بإيديها
- «هيه.. آ...ه»
- «لسه الضَّهر ياخالتى.؟»
- «ده كمان رجليا ليهم كام يوم كاسرينّى..
وياريت والنبى اريِّح.. وأموت..»
- «طب وتسيبى عم رحاب فى الدنيا لمين

مسكين..؟»
خشِّت.. تُنفض توبها من الأرض..
ودخل هوه ورد الباب.



جيل ما قبل احمد سماعين..
هوّه اللى فاكر آخر مُعْصره فيهم
يوم ما ركّبوا فيها الحجر الداير.
أما المعصرتين التانيين دُولَه.. فمن قبْل.
سبحان الله..
بصّت أبنود.. قبل ما تتدوّر..
كان عبد العال بقى عال ومعاه رسمال.
والمال فى إيدينه بيلعب لعب.
ومن الفدان للفدان التانى.. نط..
مسافة مدة قليلة كان بقى «عبد العال».
يمكن كان السرّ ف أبو مرتُه..
«عمدة نجع الحاجر».؟ يمكن
بس خلاص إيده بقت فى المعصره دى ودى ودى

بيتاجر فى الماشية..
وفى الغله.. وفى القطن.
كان ما يحبش حد..
وشه تمللى شايل غضب الله..
مايكلمشى إلا التجار.
كانت كلمة وردّ غطاها يا أبوه يالأ.
ست بنات..
والآخر..
بعد ما نشف الزور فى الحُكَما والطرقات
«جالُه خليفة».

وغريب أمر «خليفة ابْ عبد العال»
اتربى زى عيال البندر ع العز
مالعبش مع الولْد وهوه صغيّر
ما جَراش فى الشمش وداق القيّالة
ولا مرّه بعتوه يشترى حاجة من السوق.
كان طول اليوم.. فارشين له شوالة ع العتبة
لكن للحق..

ماشافتش ابنود فى بيت «عبد العال الزيات»
- زى ما كانوا مسميينه - بيت عز.
كانت سيرته ماتطْفاش فى السوق قدام الدكاكين
وفى الليل بالذاتَ
قاعده الرجاله تمْص قصب وترص كلام.
(كل فلوسه ممشيِّها..)
(بيته مايفرقشى عن بيت ايُّها واحد فى ابنود)
(ولاكَنبه تفْرِحْ.. ولا كرسى يسرّ القلب)
(حتى ما بَنولهم مُنْدرة للخُطار*..)
(ولاعنده توب عزْوَة)*
(ولا حطّوا نقوط فى فرح واحد..)
وساعات كانوا يقولوا عليه (عبد العال النصرانى)
مافلتش من العيشة الصعب الا «خليفة».
طلّعه ع العز.. وهوّه بتوبه وبرجله الحافية.
واما خليفة كبر
راح البندر.
سنتين والتالتة وعاودلنا تانى.
مافلَحْش.

* الخطار: الزوار.
* توب عزوة: ثوب غال للمناسبات.

والناس مسكوا السيرة وجابوا عاليه فى واطيه.
قالوا حيملا السوق..
واتّريْق ياما «العطعوطى»..
قال: «أهه.. اقل ما فيها يقعد زيّنا فى السّهراية.
وماله الصايع؟
هيّه ابنود كانت حتحبّنى لو أنا مش صايع؟
كل اللى حصل إن القعده حتزيد واحد..
لأ واليه؟.. أُبيض.. وطرى.. وبِرْاس..
ومسرِّح قُصّه».
لكنّ خليفه خيب أمل «العطعوطى» ورجّالة السوق
ومن الغيط.. للمعصره.. للجامع..
مارجعش براسه العريانة زى العطعوطى ما قال
مسك الشغلانة فى إيده من «عبد العال»..
زَىّ ما كون كانوا متفقين.
ماقلعش الجلابية البيضا الدوبلين.
المتزهّره من «زهرة زوزو».
وشافوه فى إيديه صندوق الدخان
بيولع قدام ابوه.
و تقول ربنا خالقه من غير ضحكة..!

فى موضوع الضحك ده.. كان يشبه والده تمام.

قلَب المعُصرتين واحده تعصر «قُرطم»..*
والتانية «خَسّ»..*
والتالته تبيع الزيت لابنود.

صحيوا ف يوم الصبح.. وسمعوا صراخ
وماخدْش كتير
عبد العال مات.
إحنا ماصدقناش.
لكن فى العصر..
لقيناناجميعا طالعين ورا نعشُه
وخليفة كان قدام.
وشه ناشف زى سجَرْة السُّنط.
وساكت.. ويحيّر..
زعلان.؟ فرحان..؟
إحنا تعبنا نعرف إيه اللى كان جوّاه ساعة النعش.

* بذور القرطم والخس تستخرج منها الزيوت فى معاصر أبنود.

ورجعنا . ورجع وسطينا من قدام..
ساكت.. وماخدشى العزْوه من حد.
وقف على حتّة كوم واتدوّر للناس
قال «شكر الله السعى». ونزل..
ورجعنا..
وكنا كل جماعة ف جنب.
من يومها ولايقابلنا خليفة إلا وبيننا ميزان
أو حجر المعصرة
أو تقبيض أجرة
وسنة.. ويتجوز واحدة من البندر.
راحوا جابوها مَرَّه.
ودخلوا أبنود بالليل
وهيّة المرّة.
وماحدش شافها.
لكن قالوا حلوة وبيضا
وناس قالوا.. وناس قالوا..
لكن اللى عرفوه - واللى فضلوا عارفينه -!!
ان البت أبوها كان فى قنا.. ف مُصلحة التموين.
الغلة بقت تطلع بالعربيات.

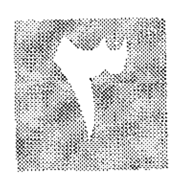
كانوا الوِلْد يشيلوا الغلة..
وما حدش غير «حنفى» من صُحبَات احمد سماعين..
كانوا يَعبّوا..
قال أحمد: «لو يدّونى فى الشيلة جنيه
مابْقاش شيال..
ده انا لما باسيب الفاس
زى ماكون باقلع عريان.
احنا بتوع الطين.
حنفى بس يروح..
أمه وعمّاته فى رقبْته..
إحنا ماوراناش..
لو على بطنه هوّه لوحده كان الموضوع محلول.»

وخليفة يخبّط ليلة على باب «بيت القمّاش»
ودخل..
وطلع شارى الدكان.
أكبر دكان فى بلدنا.. فـ نص السوق.
جاب له بنّا..
وشال الباب أُبو ضرفه وجاب واحد باتنين.

ركّب له رفُوف وملاه.
الشاى والسكر والزيت وقزازة اللنضة
وقماش وطرح وورق جوابات وظروف
كل الأشكال.
وما إلا وواحد جاى من قنا.. وبيقعد فيه.
ومشى الدكان:
الغَلّة تخْفى
عند «خليفة اب عبد العال».
الشاى يخفى السكر يخفى وتلقاه عنده.
حتى «عمران»..
بقى زى الخلق زبون فى الدكان..
ان عاز يشرب كباية شاى.

ويصادف شغل مع احمد عنده فى الأرض
وعين الواد ماتخبّيش
ولا نعرف مين علّمه فى الوِلْد وفى الرجّال.
عينه فارزاهم بالواحد.
(كإنه كان بيشوف الشغّال م البطّال

من خُرم القرش).
وتمللّى كان لما يكون عاوز أيها خدمة فى الأرض
يبعت لاحمد.
وان كان محتاج تانى..
يبقى صحاب احمد سماعين
آدى «خليفة.»

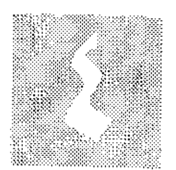


كان احمد فى الصبح وهوه رايح له مقهور.
عقله بيدور زى الساقية:
«هوه خليفة كده.. نعمل إيه..؟
وانتى يا «نوارة» عزيزة نفس.
لا تحبى الكلمة الزايدة من حد..
ولا مرة ماسختى حد..»
لكن مسك الفاس.. واشتغل اليوم كله

ولا حتى فكر تانى في الموضوع..
«ما هو موضوعه «خليفة اب عبد العال»
من يوم ما طلعنا.. لقيناه..
مالقيناش واحد فيهم فتحُه.
(عنده فلوس..)
(مرته بيضا..)
(مابيحبلّش النسوان..)
(سفّ مال اخواته النسوان..)
(كان يسحب لى الحته بخمسة من قلبه..)
(لما يموت روحه ماتطلعش..
غير لو حرقوله عشرة جنيه.)
لكن مرّه حدّ وقف قدأمه وقاله لأ ياخليفة؟
آدى ابنود واسألوا فى الموضوع.
وده ماله ومال نواره..؟
هوه خليفة كده..
واحنا ماقدامناش طريقين.
هيه بس
ماهانتشى عليها روحها
ويومين.. جودة.

ورجع هوه وعب جواد بعد المغرب..
سابوا بعض ف راس «ساقية بيت اب طربوش»..
من غير يمكن حتى ما قالوا لبعض كلام.
واحمد جه نازل ع البيت..
لقى خالته على العتبة زى ف كل مسا..
البيت جنب البيت..
إحمد كان متعود يقول «امْسيتو»(*).. ويخش.
لكن لما لقى خالته الليلة دى..
حس بحوجة ليها مش عارف ليه.
سلِّم وقعد..
ومسافة ما مسّى على «عيشة» و«مرْت اب سحلول»
عرف اللى كان عاوزه منها..
قاللها: «خاله عندى كلام..»
ودخل فى البيت ماشى وراها..
وقفل الباب..

(*) امسيتو: مساء الخير



(.. العَجْل لما يقُع.. تكتر سكاكينه..)
«وابنود ماتحبش تقعد وإيديها فاضية
ومافيهاش سكاكين.
واحمد كان دايما ورا ضهرها.. بيقول:
«الناس فاضيين لا شغلة ولا مشْغلة يقعدوا قاعدين؟
لأ.. يمسكوا سيرة الناس..
وكمان بالذات.. الغايبين.»
وكان دايما يسكت لما يجيبوا «سيرة حسانى..»
لايقول بالخير ولا بالشر.
«حسانى حبيبى وعمره ما عمل العيبة.
لما كان هنا.. كان له حب وهيبة
والدنيا ظروف..
كان لما يلاقى بنود جايّه ع الغلطان..

يخلق أسباب.. ويقول:« الناس أعذار»
ويعود للفاس
ويسيب أحوال الناس للناس.
هوه ماكانشى يشارك الا فى العُذر وفى الحوجَة
لو حدّ احتاجه.. خَدام
انما حُكْمُه على ده.. أو ده..
كان دايماً سايبُه للأيام.
كمان بالذات موضوع حسانى.

«مين حسانى؟..»
واحمد دايما كان يسأل نفسه:
«كيف يتحل رباط الناس كده بس يارب؟
كيف تغرق دنيا الواحد جواه.؟
كيف بس الناس فى الغربة تقدر تنسى؟
والخجل المتشال للناس.. ينشف فى القلب؟
مين حسانى..؟»
واحمد يسأل نفسه..
محتار بين نفسه وبين خالته نفيسة..

بين حساني بتاعُه.. وحسانى «رحاب».
بين حساني المُصْغر والأيام والعمر..
وحسانى خاين سنّ امه وعَمى الأعمى.
حسانى اللى يوماً كان مالى الدنيا شقاوةْ سن
ولعب وخطوة.
وحسانى اللى مات ضِلة فى البيت والدرب.
حسانى اياه..
وحسانى اللى غاب ورا حيطة مصر
ورا القطر القشاش.. والقضبان
والمدن الياما.

«ليه حسانى..؟»
لأنه أول حاجة واد عمه..
وتانى مامنُه.. واد خالته.
وتالت هامَ* الصاحب والعمر الواحد..
أول من صاحب فى حياته.
اتعلم جنبه حُب الشخص لشخص.

* هام: شيء.

«.. كان حسانى غريب عنا جميعا..
أكبر منى بسنتين
لكن جسمه فار وكبر قبل المواعيد
كان اعرض واطول واحد فينا ووشه حلو.
وكان متربِّى فى الضل.
ماشقيش قوىَ زيينّا
«سماعين» مات بدرى وكان خولى العمدة.
خدّام.
إنما عَمِّى رحاب كان نجار
والرب معدِّلها معاه
لبّسه جلاليب أحسن
وَكّله أحسن
ريّحه أكتر
وخلاصة القول..
حسانى كان عايق
لكن كان شهم.
عمرى ما حسيت جنبه ان أبويا مات.
أو إن انا مش واد عمه.
أو هوه معاه وانا فاضى الجيب.

كان دايما عندى فى البيت..
لكن كان دايما يغوى بَحَرى..
ويتكلم عن بحرى.
والناس همّ اللى غووه..
يقعدوا يقولو له شكلك حلو وأبصر إيه..
تنفع والله ف بحرى.
ودّوا وجابوا فى راسه..
»وكان يسألنى تمللى.. أقول:
«الإنسان يعمل ما بداله.
واللى نفسه ف حاجه
لا يخاف من عمُه.. ولا خالُه»:

وغريبة سفر حسانى..

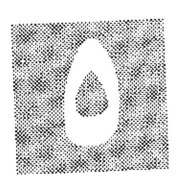
يوم ما سافر حسانى
لم دوّر على صاحب ولا خىّ..
لم حس بخوف أو شى.

سلم ع اللى لقيه.
قضّى معايا آخر ليلة.. وكان فرحان.
كان زى ماكون رايح حفلة..
وضّب سَبَتُه وهدومه من الليل..
والصُبحية
قبل ما يمحى النور النجمه ام الديّل
كان القطر اتزحلق بيه على مصر.
كان حسانى غريب..
قلبه جامد لايهاب الغربة ولا الغلب.
إنما آنا..
أنا غير حسانى..
وسفرى غير حسانى..
وشكلى غير حسانى.
أنا خايف.. غلبان.. مغلوب
زى قادوس الميّة المقلوب.
مش عارف أخبِّ ولا اطبِّ..❀
حسانى كان بايع
أنا ماقدرش أبيع.

❀ مش عارف أخبب ولا أطبب: محتار في أمري تماما.

أنا شورتى وتدبيرى ملك الناس.
ماملكْ غير توبى.. لكن ملْك الناس.
ما حد شرَانى.. لكن ملك الناس.
رحاب ونفيسة..
حسانى ولدهم سابهم ببلاش
لكن أنا ماقدرش.
حسانى يسيب ناسه مايحتارش..
علشان عارف ان وراه اللى حيحتار.
أنا لو سبت رحاب ونفيسه.. ونواره
أبقى راجل دون..
باهرب.. وباخون.
كيف بس قدرت ياحسانى..؟
علِّمنى كيف بس قدرت..؟
ادينى رطل جراءة وخدنى معاك..
لا يابوى..
حسانى عنده القلب يهج.
حسانى عنده قلب هناك يتجوز..
ويخلِّف.. ويتوه.
إنما أنا..

آه ع الغلب اذْ يقرص قلب الراجل منا..
يقتله هوَّه..
ويصبحِّى امه.. وابوه.



واهو عاد عبدِ الجواد..
مسىّ على أمّه وطَوَح العدّة وقَعْمز.
ومسافة «عيشة» مابتجهزَ له الأكل..
دار الموضوع فى دماغه المدفونة فى رُكَبُه:
«الليلة دى يعنى الليلة دى..
حيقولوا علينا إيه الرجال..؟
كنا صُحبيّة عيال..؟
بعد ما يمشى نقول كيف ان احمد قال..؟
واذا صدّقوا فى حكاية قال..
حيقولوا علينا هفايه* اللى سبناه يرحل..

* هفايه: تافهين.

كسبنى خسرنى حاقول..
إحمد مش ملْكى ولا ملِك عويضة
ياديرة الراس ياولاد..
زى ما قول عقلي دكان قفلوا طاقته.
يستحمل كيف الزول منِّينا الغُلب
إذا كان الغلب اكتر من طاقته..؟
احمد موضوعه مايتخباش..
يلبَعْ فى العبَ..*
وانا قلبى طاَب زى القنديل الشامى المتقلِّب فى الفرن.
حاقول...
كسبنى خسرنى حاقول..
إحمد مش ملك احمد ولا ملْكينا..
الناس هيِّه اللى سابته يتربَى وسطينا
إحمد ملك الناس.
إحنا مش قادرين فى علاجه
يمكن.. مين عارف.؟؟
مش يمكن أقدر فى علاجُه الغُرب؟؟
هوّ مشَوْشَوْ على نار الصبر على المرواح..

* يلبع فى العب: يلسع فى الصدر.

واحنا مشوْشونا الغُلب.

مدّت عيشة الُلقمات..
- «أعمل لك شاى؟»
- «يمكن يتهوّن ياولاد
دى بلاد ماعنعرفشى من أى بلاد.. ياولاد
يمكن يرجع مكسور.
لو جاها تانى مطاطى..
حنطاطى.
لو ماطاطيناش..
أقل ما فيها ما حنعرف نبقى فى عينين الرجّال رجال.
راح اقول..
بقى دى معقولة ياناس..؟
طب ما ان راح.. حيسدّ بيبانها علينا.
الله يخرب بيتك ياحمد

ياد وآيست❀ ف كل ماليك فى ابنود..؟
طب نوارة.؟
طب ونفيسة البسّ؟
طب والكرْم اللى حتبيعه تقول إيه للمخاليق؟
آيست ف كل الناس؟
زى تكون ياحمد بايع مش شارى
وتقابل كيف الناس..؟ تقاطعهم.!؟
لهْ ياحمد موضوعك مقفول مقفول
من كل جيهات الله مقفول يابو صاحبُه❀.
موضوعك مش معقول.
موضوعك متكرفس❀..
ماتكرفسناش فى جرايرك❀ ياحمد لا..»
- «مش تاكل اللقمة ياعب جواد..
ياوليدى مالك متغيِّر..؟»
- «مش حاكُل يامه.. لمىّ.. حانام.. تعبان.

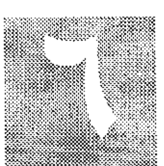
❀ آيست: استغنيت.
❀ يابو صاحبه: يا صديقى.
❀ متكرفس: معقد وليس له حل.
❀ جرايرك: بلاويك وجرائمك.

والاّ أقولّك.
حاطلع افُرط جسمى لحد الدكان..»
ـ «لكن مالكم لِيّام دى ياولدى
مقاطعين احمد سماعين..»
ـ «ايوه ياعب جواد
إحكى..
أُنطُقها لامك..
امك تحكيها
حتشيل الكلمة وتلفلف بيها..
واحكيها من فين..؟
وايش فَهَّمْها امى فى المواضيع دى..؟
حتقول: «إخص.
وتبص لكرم النخل.
تقول: «زارعاه يامنة بإيدها..
الستاشر نخلة زارعاهُم يامنة عشان احمد.
وقراط الأرض اللى لاممهم
دافع سماعين فيه عمره.
إخص على الخلْفة الدُون.»
لكن أمك حتقولَ كده عن إحمد صَح..؟

أبدا..
يمكن تسمعهم منى وتسكت..
تبكى..
وتقول يرحم يامنة وسماعين
وتقوم من جارى
والاّ تبصلّى كإنى أنا اللى بِعْت الكرْم..»
ـ «إحمد مشغول يامَّه الكام يوم دول..»
ـ «قال مشغول..
غايب من عنده جندى سوارى؟
والاّ الحرامية نَقبوا الدكان..؟
حتى ما بتجيبوا سيرته فى المطرح..
لازم فيه حاجة..
ليه أُمك هبله والا بْقَرْن..؟»
ـ «أُسكتى يامه..»
ـ «مش تجاوبنى..
ياك زعلتوه فى حويجة يا وليداتى.؟»
ـ «ليه يامه.؟
مش كنا اليوم سارحين عند خليفةه مع بعض؟»
ـ «ده شغل.. تغُفّ امك..؟(*)

(*) تقف بجذع.

إيه دخْل الشغل..؟
الشغل ياولدى يخاوى المسلم بالنصرانى..
لازم فيه حاجه خافْيينها.
الله يخفى عدوينك قوللى»
- «رايح حدا عمران.. ان جه حنقى..»
- «وان جاك احمد..؟»
- «يامّه احمد مش جاى..»
- «ليه ياوليدى؟..»
- «يامه احمد نوى يرحل على مصر خلاص..»
- «مصر..؟»
- «بيحوِّش وكمان حيبيع الكرم..»
- «الكرم..؟»



إنزاح ع الدرب وردّ الباب فى الليل..
وانطبعت فى دماغه صورتها المنصوبة..
واتهيأله حيرجع يلقاها مصلوبة ف مطرحها
زى ما سابها.
«إتكلمت ياعبدالجواد..
كمِّل..
طب مش كنت الأول تشاورهم..؟
أُفرض زعلوا الولْد..؟
أَرجَع لامى اقولهّا ماتقولشِ.؟
وافرض قلت..
خلاص..
إتقفلت البحر..»

إيه يعنى صحاب.؟
مين عبد الجواد..؟
ـ «ماكانتشى عشرة قليلة
مقاسمُه أحلى سنين العمر..»
إتربى مع احمد من صُغره.
راحوا الكتاب مع بعض..
عرفوا بعض هناك..
كانوا صغار..
وف مرّه لما اتقابلوا حدا «دكان زعزوع..»
ده بيشترى ملْح بزبل حمام
وده رايح يشترى ورقة شاى..
ورجعوا يوميها مع بعض
احمد وصّل عبد الجواد للبيت بالملح..
وعاود على بيتهم.. بالشاى.
وف مره بعدما خلّص رُبع القرآن فى الكتّاب.
روّح عبد الجواد مع صاحبه على بيت سماعين
وربطهم ودّ المشوار ده.. لحد الوقت.
فرحت يامنة يوميتها بعبد الجواد..
بصِّت فى قميصه المغسول وف وشُّه..

وقالت: «واد مين انت ياخييّ..؟»
قالّها عبدالجواد بكسوف: «واد شمروخ».
ـ «أى.. أمك عيشة الحاج.؟»
هز دماغه عبد الجواد
وساعتها كان احمد قاعد يرقب أمّه ساكت.
لكن حس يوميتها ان امه فرحت بالصاحب.
وبقوا يفوتوا على بعض وهمّ راحين الكتاب.
ويعاودوا آخر اليوم مع بعض
ويغيبوا أيام القطن من الكتّاب مع بعض.
ويسابقوا بعض ف جَنىْ القطن.
كانوا أفلح من بعض.
ويوم العيد يشتروا قمصانهم مع بعض.
ويعيِّدوا بيها مع بعض
ويامنة وعيشة اتصاحبوا من تحت راس الولدين..
وفضل «شمروخ» ييجى «بيت سماعين».
لحد ما مات.

فى السكه عرفوا «حنفى واد هاشْم الكيال».

«وعويضة ابو رقاب»..
واتلم عليهم «حسانى».
والآخر.. عرفوا «جودة».
- «كان احمد أشطرنا فى الكّتاب.
زى ما كون مولود وف إيده اللوح.
حتى حبُره ع اللوح كان أحسن حبر.
مع إننا كنا بنجيب «قَرَضْ السنط*» سوا
ونربُ* الحبر سوا.
وكان «عم رفاعى» هوه الشيخ
ماعرفش يربينا ويفككنا الخط.
كان خواف..
كل ابنود عارفه بخوف «عم رفاعى»
م العصر يخش البيت..
ومايطلعشى غير تانى يوم الصبح
لكن احمد.. إتعلم.
كنا نصدق م اليوم يمشى

* قرض السنط: عناقيد الثمار لأشجار السنط، ويستعمل كمادة للصباغة، وصنع الحبر، ودبغ الجلود
* نرب: أى نصنع.

ونْتَاوى* اللوح والقلم الباسطى* والحبر..
فى الَشنطه الدبَلان.
لكن هوه من دوننا كان يمشى وقلمه ف إيده.
كل حريم الدرب كانوا يحبوه..
حتى حريم الدرب بتاعنا عرفوه..
بقى لما يفوت يدعوله..
من صغره كان واخد دُعا والديه والناس.
وعرفنا جودة فى الآخر..

كان جوده راجل بصحيح.
مايفْرقْشى عن احمد سماعين غير فى الضحك
وفى هدوم الشغل.
كان احمد يغوى حاجة فى جودة.
كان لما يتكلم تلقى احمد عينه فرحانه بيه.
كل ما حد يجيب سيرة جودة.. يتنفش احمد.
كان بيحس كده بجودة.. زى ما كون ملْكِه.
طلّعه م الساقية ونَجَدُه زمان

* نتاوى: نخبى.
* القلم الباسطى: قلم من بوص الغاب المنتشر على حواف الجسور.

لما وقع جودة
احمد نط وراه ومايعرفش يعوم.
ناس غير جودة واحمد سماعين
كانوا زمانهم غرقوا.
طلعوا الناس الصبح وسمعوا صراخ احمد فى العين❀.
ما عْرف طلعوا بيهم يومها من الساقية كيف؟
جودة هوه اللى حكى..
احمد ماتكلمش.
كان يخجل ويقولله:
«آباى بس ياجودة.. ياما انت عاملها حكاية بْصُح
بس لاصدّق..»
وماقدرِتْش ابنود يومها ما تعرفش احمد سماعين.

لكنِ احمد من «ليلة مطرود فى العِرْس».
وِشُّه مزرود❀ فيهِ الدم..
ساكت ومدلدل يدُّه زى ماكون مسموم.❀

❀ العين: الساقية أو البئر.
❀ مزرود: مختنق.
❀ زى ما اكون: كأنه

زى ماكون عمره ما غنّى.
مع إنه كان بيصدّق فى الفَرحات لما يقولوله غنِّى.
نسى صوته الحلو.
كل الناس رايحة وف بالها احمد سماعين..
لكن احمد كان مافيهوش..
ويوميها حسّوا الناس.

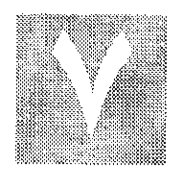
ـ «إحمد مهموم..
سيبه يبِرّح وحدُه فى راسه»
«مانديِّقش عليه ياجماعه..
نسيبوه يرتاح له يومين..
ماعرفشى مين طلَّعها ف راسه حكاية مصر..
واحمد مش هوه اللى يزلَّق راسه واحد تانى❀»
كان عبد الجواد متعود لما يروحوا الشغل سوا
يضحك مع صاحبه..
يغنوا سوا.. ويشيِّلوا بعض
كانوا يرتاحوا لشيلة بعض

❀ يزلق راسه: يخدعه.

(مش كل الأصحاب فى الشغل مريحة..)
لكن أحمد فى اليوم ده كان واحد تانى..
الفاس والزمبيل.. الفاس والزمبيل..
هو يعبّى وانا اشيل..
نتعب.. نقعد نرتاح.
مرّ علينا «خليفة» تلات مرات
شاف الشغل.. وغار.

ولما المغرب مغرب..
روّحنا بترابنا..
سيبنا بعض
حدا «ساقية بيت أب طربوش»..
ماقلناش حاجه لبعضينا
لكن كان فى السكه سألنى سؤال:»
- «عبد الجواد
تعرفشى يساوى كام كرم النخل.؟»
قلتله: «ماعرفشى..
وحتبيعه ياحمد؟.»
ماتكلمشى وعدنا ساكتين تانى

ولا حتى قاللى بكره
حنروح فين؟»



سوّت له كباية الشاى..
«حتقول ياحمد؟..
لازم..
كده كده خبرَك حيطير فى ابنود.
بكره حيترشرش قدام الدكاكين.
والناس فى بيوتها حتظاظى*.
وانا مش حمِّل سكوت..
لكن وانت ليه عاوز تمشى..؟
مناداق.
حَتقول للناس ياحمد مناداق.؟

* تظاظى : تتكلم وتجادل وتعيد وتزيد.

ده كلام..؟
طب بعد المنداق دى..؟
هُمَّ الناس ليهم إيه فيّا امشى ولا ما امشيش.
ليهم إيه؟.. ليهم ياحمد ده كلام..؟
يا.. هوه..
طب دلوقت اقدر مامشيش....؟
دلوقتى لأ.
لكن بكره.. مين عارف؟
لا والله لا دلوقتى ولا بكره..
خلاص.
رجلى ماشيه كده.
لو تتسلسل ما هى عايدة.»
وبصوت عالى قال تيْهان:
«وحياة النبى لم فيه فايدة».

كانت خالته نفيسه مطاطية ع الحطب القايد ع الشاى
«بتقول إيه..؟»
ـ «أبداً.. لا إله إلا الله..»
م الكنكة للكباية للكنكه.. للكباية

ومدّت له حبّاية الشاى*..
دق الباب..
ودخل عمه رحاب يطْوَحْ فى عصايته فى وش الضلمه.
ـ «فيه حدّ حداكى يانفيسه..؟»
ـ «ده احمد..»
ـ «إزيك يا احمد..؟»
ـ «عال.. كيفك انت يا عمى..»
ـ «طول مانت بخير والمطرح مليان بيك
عمك عال..
الضلمة يابن اخوى مش لما عينيك ماتكونِشْ فيك
إنما لما العكاز ما يكونِشْ تحت إيديك..
وانا طول مانت موجود..
ليا يدّ وعكاز يا احمد..
إيه اللى ناقصنى..؟
حياة الله يابنى أنا بيها وبيك..
عينى بتشوف..
لا تعب ولا خوف..
ربنا ما يورِّينا فيك شئ وِحش..»

* حبابة: شوية

رجَّع كبايته ملتها لرحاب.
- «إدِّى احمد يانفيسة..»
- «شرب.. اشرب خُدْ..»
خَدها احمد منها ولَفَاها لُه(*)..
وسكت...

«طب قول ياحمد..
آدى واحدة وادي واحد من ضُمن الناس
اللى حتحكيلها الموضوع
ماتقول انك ماشى
ماتقول انك مش راح تقعد بينهم تانى.
قولُّه كلامك فى العين والعكاز ده مش علشانى.
قول لنفيسه خلاص يانفيسه..
إحمد سماعين بقى حسانى.
ماتقول ياحمد.. ياتقول ياتقوم..
ياتشوفلك حل

(*) لفاها له : ناوله إياها.

أقول اشتقت لحسانى..؟
إن كان هوه بقي دون
مايصحش إحنا نكون..؟
أيوه.. قوللّها..
قول حسانى بتاعنا ياخالة
إن كان كسبوه إحنا اللى نعسّ.
حسانى من بيت عبدون والبس.
ليه تاخده مصر..؟
احنا نجيبه...
بس ان حسُّوا بريحة مصر فى قولك ياحمد..
راح يبقى كيف الحال..؟
تبقى انت كمان اظرط منُّه
تتساوى ف عينها بحسانى.
تغرق فى عَمَى الراجل زيُّه.
يْسَودّ القلب وراك ياحمد..
مش قلب رحاب لاعمى ونفيسة وبس..
لأ.. قلب الكل.
كل ما سيرتك فى الدرب تهل..
تسْوَدّ قلوب الحريمات فوق اللّعْتاب.

طب ماتمشى سُكِّيتى
من غير ما نَفَر يدرى
يصحوا مايلقوش.
وان رحت وربك عدَّلها
تبعت جوابات وقروش.
لكن لا هي حدوتة ورقة ولا قروش ياحمد..
ده انت سِجَرتهم وغطاهم.
رحاب ونفيسةَ ونوارة وحنفى وعويضة وعب جواد
والناس فى ابنود.
حتى «عمران» الإرعن إللى يصاحب بالقرش
وبالوش..
إنت الحتة الباقية فيه
بتحسِّن قوُله مع الناس
إنت اللى مخلى الناس عارفين باب الدكان..
إنت.
م الناس عارفاه تَبَعك ياحمد.
طب والحل..؟
أبقيها.؟ ❀

❀ أبقيها: هل أكف عن التفكير فى السفر.

ماقدرش ومصر بتغلى فى نافوخى زى النار.
مش قادر استحمل يوم فى ابنود.
مش عارف حتى حانام كيف الليلة دى.
عجّزت ياديرة الراس.
عريان.. متكتف.
والعهد اللى خدته مع جودة ونفسك قدام الناس..؟
أُفرض طيِّبت خواطر خالتك والراجل المضرور ❀
كيف تجبُر أيام نوارة الباقيين
لما تشوف بعينيك العمر المكسور..؟

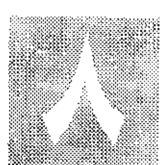
وكمان الناس..؟

طب كرم النخل عشان يتباع..
مش لازمُه تقول:
«ياعباد الله.. يا أهالى..
فيه كرم حابيعه بستاشر نخله
العايز يتقدم؟
إتدبَّر يا احمد..

❀ المضرور: الأعمى.

ماتبعترش القول ان كنت فى آخره حتتندّم.
آه يارب الحزنان
الحزن اقدم ولا البنى آدم أقدم..؟
ماتقول.. خرْسان ليه..؟ عاوز حل..؟
قوم قضّى الليلة مع صحابك.
إفرش موضوعك قدامهم وابكى.
أبنود مقفولة عليك يااحمد.
حتبيع ميت حاجه هنا..
قبل ما تشترى ورقة لمصر..
قوم..»

- «ماشى..؟
ما قلتلّى ياولدى عندك موضوع..؟»
- «تتعدل بكرة ياخالة..»
- «فيه حاجة جات عن حسانى؟
ما تقول.. يمكن مات»
(ما قالش.. وقام..)



كان الخبر.. ابتدا يسرى.
إحمد خايف لكن مرتاح.
ما فى سرّ ف دنيا.. إلا ولُه مفتاح.
- «ده زمان عدم السر..
الناس بتبص وبس..
إعمل مش واخد بالك.. لحد ما حد يقولك قول
مَ الناس ليها فيك»

- «عمّى احمد...
باعتينّى ليك.. راجل من بيت الحداد..

قالو لى روح انده لى عمك إحمد..
مستنيين تحت الجامع.. خلق كتيرة».

- «أنا طول عمرى أزرع فى أراضى الناس..
أنا مش زرّاع..
الكرم مالوش معنى اذا كنت انا محتاج القرش
الورقة الخضرا دلْوَكْ تسوى ميت نخلة
حادّى للناظر نخلة يدينى بيها تذكرة القطر؟
وكل مازاد القرش معايا هناك أوْلى.
ده انا رايح أصعب حتة فى الدولة.
أقسى معيشة وامرّ سنين.
إيش عرفنى فيه إيه؟
إيه يقابلنى..؟ ومين؟
افرض ماتلميتشْ على حسانى؟
افرض حسانى مامعاهيش؟
مايزعّلنيش الناس..
الناس مش خابرين حاجه
الناس قاعدة..

أنا ماشى..
أنا اللى حادبّ فى أرض الغربة هناك.
أنا اللى ان كان معاييش حاعْرَى وحاجوع..
ومن غير القرش لا حاضمن عيشة ولا رجوع.
ولازم أجمدْ.. وماخافش..
وأبَرّد قلبى مع الناس
«ياترى الحداد.. أنا لازمه ف إيه؟.»

فى الدرب
واحمد غير احمد
غيمةْ هَمّ قصاد بصّة عينُه بتطير وتحط.
وقلق.
حتة تَوهان فى المشية وفى الخِلقة:
«يعنى عايزينك ف ايه بيت الحداد ياإحمد؟»
إحمد من كتر ما خش بيوت الناس
وأراضى الناس..
وظروف أحوال الكل..
يعرف إيه عاوز منه فلان لما يبعتله فلان..

اللى أوان مسْقى.. واللى أوان حرْت
واللي أوان لَم القُطنات والاّ الغلّة.
يعرف ميتى بيت أيها حدّ حيطحن.
وفلانة عندها كام فروُجة
واللى راهن قيراطينه.
وعارف كل حدود الأرض وعدد الورّاث..
والأسهم.. والقراريط.

«ياترى الحداد انا لازمُه ف إيه؟..
لازم موضوع الكرم..
حداهم قرش..
ويمكن حتى يقلّعوا نخل الكرم ويبنوا.
يقلّعوا..
نخل الكرم انا يلزمنى ف إيه؟..
راح اقدمه للكمسارى تذكرة؟.
حاخده زيارة لحسانى؟..
أنا بس لازمنى القرش».

ـ «أهه جه..
أقعد ياحمد..»
ويقول أحمد:
ـ «وادى قعدة ياعمى طلِب»
ـ «عويضه قال.. بيقول مايجيبشى الدُّور
مادام انت مش وياه.
دى حاجه جديدة معاك ومعاه..»
ـ «دور إيه فيهم بس ياعمى طلِب..
زبْل الوطواط والاّ سبَخْ؟؟
آه.. مانتو زارعين صحّ مَقات*
زبل الوطواط.. يعنى جبل الوطواط*..
يعنى تلات تيام
طب انا محتاج لليام دول ياعويضة»..
ـ وانا محتاج اقعد ادنّ* معاك فى القول والدنيا
تلات تيام..

* المقاتة أو المقات: زرعة البطيخ أو الشمام والخيار؟.
* جبل الوطواط: جبل تعشش فيه الخفافيش بكميات كبيرة، وتترك سمادا للبطيخ والشمام.
* يدن: يمشى بغير هدى.

يالإمابلاش.. ولا وطواط ولا غير وطواط.
واقعدهم هنا جنبك».
- «شوف دخلوا ف إيه؟
بقى يعنى احنا جايبينكم علشان يعنى..
وطب دى أمور معنتها إيه؟.
قول ياأحمد..
انت اللى ف مُقدرتك تقليب القول.
قوله يشدّ الليلة والاّ الصبح..
ويجيب الدور ويفضُّه من القول».

- «يجيب الدور.. وأجيبه معاه
منٍ بكره الصبح.
ودُّوا الناقتين ع البيت..
هاتلنا دخان لعويضة.. وادينا قرشين.
ولو انى محتاج للكام يوم دول..
المقصود.. فيه حد حيطلع تانى؟.
يعنى انا وعويضة وبس؟.
على خيرة الله.»

شربوا الشاى تحت الجامع
بين الجامع وما بين عمران.
كان احمد بادى الهم شوية
لكن قارَق* ورطَنْ
واتكلم وضحك مع كل الناس..
على قد ما يقدر يتكلم.
واتفرد الآخر بيه عمران..
جَرُّه لجوّه الَدكان:
جاب له الشاى وفتح له ورقْة دخان.
واحمد لايحب الدخان..
ولا يغوى قُعادْة الدكان:
- «خلاص حتبيع الكرم؟. سمعت كده»
- «أيوه حابيعه.. مين قالك؟.»
- «أصل امى سِمعِتْ.. قالت صاحبك
إنت اوُلى بهمُّه..
وتلمُّه»
- «أنا مش معذور للقرشِ ياعمران علشان دين.
ولا حارمى فلوسه ف جُرم عملته.

* قارق: ضحك وتحدث بمرح

أنا مش معذور عُزر المعزور.
أنا مش عاوز ابيع الكرم عشان اسكر والاّ
اخْمَر بيه.
مش حاصرف تمنه فى غوازى والاّ فى نقوط
ولا حاشترى بيه توب ولا أتجوز.
أنا رايح بيه مصر.
أنا لو ضامن الشغل ف مصر من اول يوم
ما أبيعهوش.
أنا مش صايع.»
ـ «وانا قلتلّك صايع؟
كيف صايع..؟
وإذا إحمد صايع يبقى امال مين المعدول..؟

المسألة امى عندها كام كيلة غلة ع القرشين اللى معاى
على حلَق اختى أمينة
وجوز الغواشات الفضة بتوع المرحومة
ونستر بعض».
ـ «قلت لَّك مش عريان علشان تسترنى ياعمران.
يعنى لو القرش ده مش فى الإيد..
الدنيا ماحاتتهدش ولا حاجة.
أنا محتاج لفلوس الكرْم..
حَوَجَان مش حوجان الناس المحتاجة.
أنا رايح مصر
ماضمنش الأحوال حدا وادعمى وواد خالتى حسانى..
ماضمنش ظروف العيشة معاه..
لو قرشى ف يدّى
أطلع على مهلى وادخل على مهلى..
أستر واد عمى ويسترنى..
لحد مالاقى الشغلة
أنا مش رايح اتفسَّح
ولا رايح افَصُل* فى حبوب»

* افصل: أتاجر.

- «طب ماصويحبك أُولى..
واهه كُرمك خدُه صاحبك..
زيتك فى دقيقك».
ووقف إحمد رامى ف جوفه قعرة كباية الشاى:
- «اللى حيدينى أكتر.. حيشيل..
مش عاوزك تتدايق
بس آنا محتاج للقرش ف مصر.
إدينى الشاى والسكر
وورقتين دخان لعويضة
أنا عارف بس بيعمل إيه بالدخان؟
يعنى حيموت.
لو ماشربش الزفت الدخان؟»

سكّة شجر الأتّل
ع الصبح البدرى بيمشوا الجملين..
وعلى البعد..
وعلى مرأى ليلة..
جبلين..
جبل ابيض.. وجبل أُحمر.
الجبل اللُّحمر مشواره ياخد ليلة..
للى بيجيبوا منُّه سباخ وبرام.
والجبل اللبيض مشواره تلات تيام وخطِر..
جبل الوطواط.
اللى بيعيش فيه الوطواط.
كنابيش كنابيش يولد وبيبيض
ويعشّش فى كسور الصخر.
بيجيبوا منه ذبل.. يسبِّخوا بيه الأرض.
بطيخ.. شمام.
واحمد قبل المشوار.
كان لازَمَه المشوار
وعويضة..
والبعد تلات تيام.

الوَحشة الوِنْسَة.. بعيد م الكل.

....

لمّا لضمهم عَوَجان الدرب الجبلى الخالى..
كانت أيام العمر ف أبنود
عمال تتطوح فى دماغ احمد سماعين
زى الراية اللى بترفرف فى هوا قُبَب
«الشيخ العمرى»..(١)
وبتفطفط فيه الأيام.
مع هزِّة جسم الناقة ورا وقدام..
كان أشبه بالسابح فى الذكرى والأيام.
- «فاكر صالح ياعويضة.؟»
- «فاكره تمام ياأحمد..
إيه اللى خلاّه هفّ على دماغك دلوقت..؟
عارف ياأحمد..
أحسن ميّت.. هوه اللى لما يعدى على بالك تضحك..
مش تتغم.
أهو صالح ده مافتكره مرّه..
الا اما القي ضحكى سبق صورته.. عجيب.»

(١) قبب الشيخ العمرى: قبة المسجد هناك والمسمى باسم عمرو بن العاص.

- «أهو مرّ ف بالى مش عارف ليه.
ليلة الديب.. والآف(*).
وعينيه.. اللى كانت تِعْشى(*)
والضحك...
وكلامه اللى ورا بعضه ورا بعضه
لما تموت م الضحك وم الغُلب.
والاّ حكاية موتُه..
صُح انا إيه فكرنى بيه..؟
يمكن جبل الوطواط..»
وسكتوا االتنين..
وأخدهم طول الدرب الساكت..
جوه سنين خَلَيان البال والقلب..
الأيام اللى ما حترجعش..
«صالح»..
واحمد بِتفكّر أول ليلة طلعها معاه جبل الوطواط
كيف حبّه من أول خطوة..
قبل ما يطلعوا من أبنود.
صالح مش منها..

(*) الآف نوع من الثعابين السامة الشرسة.
(*) تعشى: لا ترى شيئا بعد المغرب.

عرباوى..
لكن فاق أهل ابنود في اللكش وفى الضحك.
كان أول م المغْرب مَغْرَبْ..
عينه تعْشى وما يشوفْش.
ويقع في السكة ويتخبط..
ويضحك هوَّه كل الخلق عليه.
يحكى حكاية عَشَيانه وما جراله منُّه الدور ده.
ويعيدوا معاه حكاياته اللى حكاهالهم ميت مرة.
كان واد طيب ويحب الدنيا صحيح.
عارف ياخد حقه من يومه.
كان دايما قولتُه:
«مش حاطلع منها غير بالضحكة».
افتكر احمد قعدة صالح حدا قهوة مطرود
بيحكى حكاية الديب.
والدمعة بتفط فى عينه وف عين القاعدين م الضحك
يمسحوا عينهم فى كمامهم ويوزّوا ف صالح.
ـ «كمِّل»
ويكمّل.
كان احمد قاعد..
يفتكر انه عمره ما ضحك زى ما ضحك اليوم ده

كان مش قادر عينه تقابل عين صالح..
يضحك.. يضحك..
لما قلبه وجعُه من الضحك..
صالح بيكمّل:
ـ «والناقة ياخيّى
تتشال على قوايمها وتهبد فيّا.
وانا اقول آهه قرب يهبر رجلى..
والناقة تبرطم وتزوم..
وانا جسمى بيرجف زى الفروجة الحرانة.
وأقول: يا صالح ما هو لو بجبج* بطن الناقة
تنُّه جابَدك ومبجبج* فيك للصبح..
حتقول يامين فى جبل؟ وده ديب.
لا حتاخد حق.. ولا اهلك ليهم ديَّه.
والله يادى القعدة مع «بسيس» حدا قهوة مطرود
رحتى عليا.
جسمى منفوض زى ما كون عندى مراريا..
ووشى بصيتله لقيته اصفر.. زى الكركم.
رحت فطيس ياد.. ينعل ابو الذبل..
على ابو الوطواط.. ع الكل».
ـ «غلبان صالح ده..

* بجبج: يقصد لو أن الذئب فتح بطن الناقة فستسقط الناقة ليلتهم مصارينه هو.
* مراريا: ملاريا.

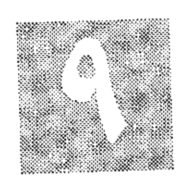
وقع فى إيدين دنيا ماتعرفش تفرّق..
بين شخص وشخص.»
....
«عويضة..
إنت زعلان اللى حابيع كرْم امى وابوى؟
زعلان..؟
خايف كرم امى وابوى يتقيد فى دفاتر عمران؟
ليه بطّلتو تقولوا..
من أمتى انا كنت باخبي على واحد منكم أمر؟
مَ اللقمة فى اليد.. والشّكران فى القلب..
اشمعنى اليوم حاتحرك وحدى..؟
إسأل.. وانا اجاوب..
عمر ما حد سألنى وماجاوبتش .
أعرف.. أقول باعرف.
ماعرفش.. باقول ماعرفش..
أنا عمرى ماخفت من اصحابى.
ماتخوّفنيش منهم غير العيبة.
إذا أعمل شىّ يصغّرنى
أخاف وارجع على طول.
إشمعنى دِلْوَكْ ياعويضة..؟

فيه حاجة جدّت بس..
نقولها..
أقولها لك تانى يا عويضة:
«بقى أنا باغوى الحرية..
من يومى.
والدنيا فى الموضوع ده ساعدتنى..
لا أبو.. ولا أم.
حُر.. لوحدى..
مش مجبور على مشية حد.
عرفت اعمل عيلة..
عرفت ابقى بأُم وأب.
وكنتوا.
وعرفتنا.
وعملت العيلة من اماتكم ومن اباتكم
وبقيت..
حسيتوا بيّا وحبيتوا فيّا حرارة الوِش..
والكلمة اللى ما يميّلهاش الا صاحبها ان عاز.
الكلمة المعدولة الجد.
عارف ليه يا عويضة..؟
لإنى عارف صحّ أعيش حر.

لكن انتو كانت جلاليبكم مربوطة فى جميزة الدنيا.
البيت المفتوح..
والخشم المفتوح..»
ـ «طب ونفيسه.؟ والإعمى..؟ بلاش نوارة.
أهى نوارة دى جودة. وجودة بتاع الكل.»
....
وقّفوا جمليهم تحت الأتل.*
ودخلوا يتنّاووا القيلة بعيد م الشمس.*
وعويضه دوّر على حطبات الجوزة..
ولّع..
وسحب من راسى العرْش على الناقة*..
الكنكة والشاى والجوزه.
كان الدرب طويل لسه فى الدنيا الصخر المتّسعة
والشمس بتقدَحْ فيه:
ـ «ربنا حيجازى اللي زرع الأتلات دول خَيْرَ جزَا
فى وسط الجبل الوعْر ده زرع الأتل ده ليه؟..
كان لازم زينا يعرف جبل الوطواط.

* الأثل: شجرة الأثل ينبت هناك دون زراعة.
* القيلة: قيلولة منتصف النهار.
* رأس العرش: الحوامل الخشبية على ظهر الناقة (السرج).

صالح كان دايما بيقول كده فى المطرح ده..
فى الدنيا الحامية..
فى الصيف..»
....
«أنا مش رايح مصر اصيع..
أنا طالع من هنا.. مش رايح مصر..
أنا رايح مصر عشان حسانى.
وعشان حسانى زمانه بيعرف مصر.
حاطلع وحاشوف الدنيا..
وأدوق حلو ومُرّ الدنيا..
وحاشوف مصر..
وحارجع.. واحكي.
ده ما يجيبشى حَقّ الكرم.. ونخلات الكرم؟.
ياخى.. لازم برضه الواحد مننا واجب يقطع عنه
حبال القعده تحت حيطان وسقوف.
لازم نطلع.. ياعويضة
لازم تعرف إيه الدنيا..
هيا الدِّنيا بس ابنود؟.
يعنى لو مرّة..
ركبنا القطر بدون ما يكون فيه واحد مات فينا



حرام؟..
أبدا ياعويضه.. إنت بس..
بتكلمنى وانت مشدود فى حبال البيت.
الحنك المفتوح اللى لو متّ يسف تراب.
أنا غير كده..
نوارة ونفيسة ورحاب..
ربطوا توابهم فى قميصى.
يبقى زى ما احوم لابدّ يحوموا معاى.
بكره مش فى اليدّ عشان اوعد.
لكن يِقسَم للواحد فيهم زى ما يِقْسم لى فى الدنيا.
ان رُزِقت أهو ربك باعت رزق الكل..
ان ضاقت يبقى لأمرٍ فى دماغ الغيب.

سيبك من دول..
سيبكم من دول.. دول فى الرقبة مطرح
ماحاروح..
بُعْدى قُربى منهم حيفُك الحسبة ف إيه؟
زى ما إحنا.
يعنى هناك حابخل؟
ليه؟ وانا كان فيه حد غريب فارضُه عليا..؟
دى قِسَم ونصيب..
وانا طالع للدنيا لقيت الحمل ده ينفع يبقى حملى
حملته..
وسهَّلتوا انتو الحمل عليا.
أنا بطنى بيدخلها اربع لقمات.
أنا رتبت أمورى كده..
والدنيا.. مابخلتش علياً.

والله وحتتلاقى عيوننا ووشوشنا تانى يا حسانى

قوم بينا يا عويضة..
نتحمل..

ونوفّر وقت.»
وتطول وتكش رقابى النوق..
والمغرب بيمغرِب..
والاتنين سايرين.
يفتكر احمد سماعين
كيف صالح كان أول م المغرب ييجى ما يشوفش
وتعشى عينيه؟.
وتمرّ ف وشه بسمة حزن قديمة
ومن عمر الأيام.

خدوا بالهم منه عيال السوق..
بياجى الصبح
يدخل فى الجامع أو ينقل قعدته قدام بابه
مع العواجيز.

يتكلموا عن بدرى وعن ناس بدرى
يترحّموا ع الميت والحى.
لما شافوا لَبْدته عند الجامع..
ناس ابنود كلها قالت..
«لابدّ ان رحاب بقى على عِلْم
بنيّة احمد سماعين»

لما رجع احمد.
كان عمّه رحاب لازَم حيطة الجامع ليه نهارين.
فرّغوا احمالهم على طرف «مقات الحداد..»
واندارو على السوق..
كان احمد نفسه يروح البيت ويردّ العصر.
وعويضة يقوله نروح عند الدِّنيا فى السوق
ده احنا جايين م الصخر ومن زبل الوطواط..
ياخى ناكل لقمة..
واحمد أول مرة يحس بتقل الخطوة
قدام دكان عمران.

....

وإذا برحاب تحت حيطان الجامع
وإذا بتروح انت وتقعد وسط الرجّالة العواجيز
وعويضة معاك..
وتسلِّم.. ويبصو لك.. وماتفهمش..
وإذا «حسن أبو سيِّدة» يرمى القول لرحاب:
- «إحمد أهو وسطينا..
قوللّنا قولَك إيه فى حكاية البحِّير والمشى*
كل ما نفتح وياك الموضوع تقفل.. أهو جه..»
- «إحمد ولدى..
أنا كان لى واد واسمه حسانى
وده مات.. مات من بدرى.. بدرى..
قبل العما والبما.. وكل القول ده مات.
العيل قبل الراجل عارف انه مات.
كان اسمه حسانى.
واحمد ده ولدى.. مش ولدى التانى.
إحمد خيِّر.. واحمد خِير..

* البحيِّر: الاتجاه إلى بحرى.
* البما: المصائب.

سماعين خلَّف راجل..
يحمى.. ويدى.. ويعرف.
عاوز يمشى..
يبقى لابد ف مشيته حاجة لاشايفينها إنتو بعنيكم
ولا أنا يا اعمى بعماى»..
- «لا حول الله يارب.. يعنى ياحمد
بس ياولدى.. مش كان»
- «إسمع يا عمى «بَكْرى»
أنا عمرى ما حد نصحنى
ولا ميِّلت عدلنى بقول.
أنا عشت هنا زى ما عاوز..
زى ما تغوى وتعشق نفسى..
فاشمعنى دِلْوك حيغيرنى القول..؟
أنا ماشى..
والباقى.. حظى وقسمتهم حاجة ف إيد الله»
خَدُه من يده وقام:
«قوم بينا يا عمى نشوفلنا لقمة عشا فى البيت».
قام متحمل ع العكاز..
«قابِل حنفى وعبد الجواد يا عويضة..

حاجى لكم حدا قهوة مطرود بعد المغرب».
واندراوا اللّتنين ع البِرْكة قاصدين البيت:
- «بيقولوا الإعمى إعمى القلب..
ده كلام مش مزبوط
الإعمى إعمى العين..
اسألوا عُمْى الناس الشايفة دى تعرف إيه؟
وياويل اللى يعمى ظغّير..
وياويل اللى يعمى ف غربة
فى بلد مش بلده
ودروب مامشيش فيها بنضُره صبح وليل.
أهو ده اللى اعمىٍ صحيح».
- «كيف يعنى ياعمى؟»
كانوا بلغوا مَدَشّة⊛ عدس «الشيخ شمروخ»:
- «أهو هنا قدامك.. من أول هنا..
- ويزق بعكازه طرف الأرض -
كان أول «ساقية بيت اب طربوش»
كنت انت ظغير لما اتردمت»..
- «بس انا فاكرها قبل الردْم بعام..
كانت من غير مَيَّه ووالده فيها كلبه سودا سعرانة.

⊛ المدشة: مجموعة من الرحايات الكبيرة لتقشير العدس والفول.

كنت ظغير واجى أعاكسها مع الولْد..»
- «بدرى ساقية بيت أب طربوش كانت.
بدرى.. كانوا بيجروها عبيد..
قاللى عنها أبوى..
ميت رحمة ياعبدون
قضيِّتهم كيف؟..
آباى ماطويل يامشوار الدنيا.
وملّيان⊛ تعاتير.
الدنيا بتتغير ياحمد.. الدنيا مالهاشى أمان.
وادى جه اليوم اللى تدوس فيه رجلينا
رَديم ساقية بيت اب طربوش.
عبدون ياما اتشد ف حبْلها أيام وليالى ودار
رجاله كتار..
كانوا يلموهم بالكرباج.
كان مُطرحها خيول الحكام..
مدشة عدس الشيخ شمروخ
ماعرف حكام مين والاَ خيول مين..

⊛ أجضن التاود.
⊛ الفاخورة: فرن حرق الفخار.

أُبَّاتنا من كتر الهم ماكانْش يقولوا.
مش فاكر سماعين قضّى آخر عمره كيف؟
مش معقولة ماكانش ف جوفُه ياولدى كلام.
بس الحزن اذا طال القلب.. خلاص
قول ع الراجل يارحمن يارحيم.
الشقَى مش متعب.
التعب الأكبر حزن النفس ف آخر العمر.
لما تلقاك قضِّيت عمرك كله لم دقت الا الحِزْن
والعمر بيخلص قدامك.
ومحطته على بعد الرِّجل
وانت طالع منها بلا ضحكة..
وبلا حاجة تسر القلب.
تزعل.. وتموت وانت ماشي..
قلبك ييْبس. ولسانك يقعد ع القول ما يقومْش..
إيـ... ... ...ـه»
يقف عند الجميزة..
«قعدْت هنا خمسين سنة ياحمد تحت الجميزة»
ويمد العكاز ويزيح طوبه من وسط السكه

* جيدتنا: سحيتنا.

كإنه شايفها..
لسه الولْد بترمى الطوب.
أيام مانا كنت بصحتى.. وف إيدى العدة..
كانت الجميزة انضف قعدة..
وارجل قعدة للرجّال.
دلوكت اتبدَل الحال.
والدنيا ما بِقْيتش الدنيا
والناس مش هيه الناس.»
ـ «يخصِّنى قد ايه م القول ده ياعمى؟.»
ـ «لا ياولدى.. لايخصك ولا ليك فيه..
ولا ليّه دعوة بسفرك.
أنا بس باجُضْ* .. باقول آه..
وانا طول عمرى كنت باجضّ لمين غيرك ياحمد؟
أما عن السَّفَرية
فلا أنا ولا خالتك لينا فى السفرية.. رأى.»
ـ «كيف خالتى مالهاش رأى..؟
أمال مين اللى يبقى له الرأى..»؟

* الجض: هو الأنين.

المغرب ع الباب
المغرب أكتر وقت تكون فيه الناس فى السوق
جرَّه رحاب على مصطبة «الغزّالى»:
«أقعد.. واسمع:
أنا نضرى لما انحاش.. مش كنت خلاص؟
مش كنت أنا وخالتك.. يارحمن يا رحيم؟
الواد اللى تعبت أربّى فيه وأشيله ليوم
ولساعة زى دهىْ..
مش غار؟
مش بِلْعِتُه منى فاخورة* إسمها مصر؟
مش جينا خلاص ع الأرض أنا وهية؟
مش قعمزنا تحت الحيطة خلاص؟.
إيد مين اللى جبدتنا* تانى على وش الدنيا؟
مش إحمد؟..
مش إيدك؟.
مش خليتنا ضحكنا تانى وكلنا تانى
ومشينا على ضهر الأيام؟.
إديتنى عين على عينى.. وجِهد.

* الفاخورة : أفران حرق الفخار
* جبدتنا: شدتنا بعيدا عن الغرق.

ده انا حزني على العدَّة..
والقعده مَع الرجّال والَشغل..
لولاك.. كان موّتنى.
إنت طلعت
كإن أخوى كان جايبك لِىْ.
كإن امك يامنة جايباك لنفيسة اختها
ستر وضْـهر.
لو اقولك إمشى..
أبقى كداب.
لو أقولك اقعد
أبْقى خايف ع الحسَنَة اللى بنخطفها
من حجرك.. وإيديك.
لانا ولا خالتك.
أنا احبك ياحمد.
واصدِّق نضرك.
نَفَسك ويايا فين ما تروح..
ونورك فى عمايا فين ماتروح..
ليه حاتروح؟؟
أنا عاوز أعرف دى ياحمد بسّ.

* تليس: جوال

ليه عاوز تمشى؟.
شايف إيه ع البعد وع الأيام..؟
ليه بتسيب يدّ بلد بتحبك..
من أصغرها.. لأكبرها؟
أنا عاوز اعرف دى.
ودى ليّا فيها حق عليك..
والاّ مش صُح..؟
أهى دى كل المسألة . مظبوط..؟
قوم بينا..»
أحمد كان عقد النيه خلاص
ونوى الأمر..
وعرف يقدر يسمع كل القول بودانه وعينه بس.
وساعات كان يتهز.
يعصروا فى الليل قلبه..
حايسيبهم وُحَدَا غربا ف ليل الخوف
والعمر المكسور.
جودة كلته طاحونته.
وحسانى غرق خبره فى مصر.
«ليه يعمل كده حسانى؟..

حسانى ده كان أحسن منى..
واجدع منى..
مش معقول تعمل كده فيه مصر.
لازم فيه شئ فى الموضوع.
لازم اشوف حسانى بعينى
واتكلم مع حسانى بخشمى
علشان ابقى زى رحاب ونفيسة.
ليه..؟ ماعرفش..
رحاب بيشوف الدنيا ـ مهمن كان شايف ـ
من عينه العميا..
من سنّه المكسور
والقعدة تحت الحيط.
من عدم القدرة على زيح الشوق.
لما يقولوا انّ انا برضه مسافر مصر..
قليلة عليه يفزع ويُشط ف بحر الخوف.
ونفيسة البس..؟؟
آ..........ه..
ولسه ياحمد ياما وراك مشاوير».
....

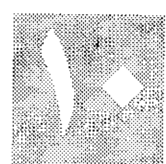
....

- «ياساتر..»
- «حد معاك؟.»
- «ده احمد..»
- «أُدخل ياحمد.»
- «أَفَرح لما ادخُلّك يوم السَّعد بحسانى ياخالتى
أنا رايح اشوفه..
سمعتى؟..
سمعتى عن سفرى لمصر ياخالتى؟.»

....

فرشت تلِّيس❀ غله فاضى
طلّع مِن جيبه السكر والشاى..
«خدى سويِّلنا الكبايتين دول..»
- «طيب ياحمد مش هنا فيه؟..
يمكن جايبهم تعملهم فى البيت.
وانت مقرنز❀ وحدك.
خُدهم.. مانا عندى فى الحُق❀..»
- «آباى بس ياخالتى
ماقال يعنى جبنا زيارة».

❀ التليس : جوال فارغ.
❀ مقرنز: مكوم وحيدا .
❀الحق : العلبة.



....

صَبّت كبايتين..
إدتهم..
سكتت..
- «وانتى ياخالتى.؟»
- «ملياش نَفْس ف حاجه..»
- «أوه.. حتمررِّى ليه طعم الشاى بس ياخالتى..؟»
- «والله ياولدى ماجاينى نوم ولا طعم لْشىّ»
- «طب.. علشان احمد؟..»
- «ما هو برضه ياولدى عشان احمد.
ماشى..؟؟
كل اللى حيكبر من دلوقت..

حيتبع خُطا حسانى؟..
آه منِّك يابت الكلب.. يادنيا..»
- «طب اشربى.. مش لازم نتكلم..
وحياة حسانى ياشيخة»
- «حسانى...؟؟»
وقامت منفوضه من ع الأرض
«حسانى مين؟..
ليه ياحمد وانت حسانى؟..
انت عايز تبقى حسانى؟..
يبقى ياميلة بختَك فى الكل يابيت البس..
يابيت اب عبدون
حسانى ياولدى ده حاجة مخلوقة بس
علشان يتمرَّر بيها الحلْق.
لكن انت..»
واصطدم البكا بالصمت..
«كينة خالتى نفيسة..
عندها حق..
ربِّتْنى وتعبت فيّا..
وحسانى اتطفى منها

زى عيون عم رحاب
وانا كنت فانوس واحد وحدانى
واهوَ بيبعد.
لازم تتعَب خالتى نفيسه..
وتجهِّز نفسها للسكه الضلّمه.
بكره حتعرف..
أنا نفسى دلْوك مش عارف.
لاحينفع فيِ الموضوع ده كلام ولا قول..
أحسن ما تقول دلوقت..
إنك تسكت.
أنا قلت ماحتهزِّش.
الحمل كبير.
واذا خدت بالى انه كبير..
حاقعد..
حابقى زى الناس..
وانا عايز أمشى..»

- «طيب مين أخبث راجل فى الدنيا..؟»
- «اللى اخترع الشاى ياحلو.»
ويضحكوا لما يميلوا
ويخبِّطوا بعض:
- «براوه ياهاشم»
- «لأ لسه..
ماتقول يابن الفرطوس..»
يرفع إيده «منصور احمد»
- «لا ياعم غلبتنى..
ده انت لساك فرقلَّه.»
ويقف «هاشم الكيال»
- «ليه وانت من قيمتى والاّ مقامى ياواد»؟
ينفخ خده
ويرفع صدره ويعمل عُمْده.
«ده انا ابويا
كتب لى ستة وتلاتين فدان..
من العتبة للزير مرقد واحد.
وأخوى أكبر منى «توفيق»
تمانية وتلاتين فدان
من الجرّة.. للفرن.

وأخويا ظغيَّر واصل «شادلى»
خمسين فدان
من أول طوبه فى الدرب لاخر الشارع.
والبنات.. الله يعزك
كل بنيَّه «سباته محبوكة[*]»..
وجه عندينا المأمور وحكمدار المركز
ومعاون البندر
والبوليس..
دبحنا لهم قرعة عسلى.
وعملنا بطاطس بالخروع
وبطاطس بورق قطن
وكباب جُوَّاه طوب نىّ..
وفراخ محشى بِعجول[*]..
وعَدَس ملزوز[*] مع قَسل الفول[*]
ودكر مالطى..
حشيناه دَمَسيسة وغبيرة[*] وزلط..

[*] سباته محبوكة: خص بوص جيد الصنع.
[*] العجول: نوع من الأشواك ينبت فى الجسور.
[*] ملزوز: نضج فى الفرن.
[*] قسل الفول: اغصان نبات الفول بعد درسها بالنورج.
[*] دمسيسة وغبيره: نباتات لا قيمة لها.. مرة الطعم

ومُحَلَّياتنا كانت شَرْبة سلَمكَّه..
آخر غرام والنبى يابا خوه»
كل الناس تضحك..
وهاشم واقف:
- «هيه يامنصور تسكت؟.»
والناس تضحك وِلْد ورجاله كبار.
- «يخرب عقلك ياهاشم»
«حتموتّنا من الضحك.»
«وقال ايه.. الحلويات كانت شربة سلمكّة»❀
يضحكوا.. يضحكوا..

لسه الدنيا أول الليل
وسَّعْ له احمد حته.. وقعد
هدِى هاشم الكيّال.
وقعد. والكيلة ف حجْرُه..
كان جاى من مشوار لما اصطادوه..

❀ نوع من الشربة سيئة الطعم جدا تستعمل ضد الإمساك.

- «ياالله كل اللى مالوش عوزه يروّح..
اللى محايشربش الشاى حدا مطرود يمشى.
ياالله..
ولا ليكم أُمات تسأل ولا أهل..؟
روِّحوا يمكن عايزينكم تقْضوا حاجه
لكن حاجة إيه اللى حتقَضوها لأهاليكم..؟
أهاليكم من كتر العزّ.. بياكلوا تبْن»...
....
كان احمد قاعد
بيبص لهاشم.. والناس..
يعرف كل الواقفين والقاعدين.
الواد ده أبوه مين وامه مين.
كان عارف كل الناس..
زى ما كل الناس عارفاه..
كان شايف كيف عين الكل..
بتفعكش جوه عينيه
بدّها تعرف إيه اللى وراه.
واحمد قاعد مابيتكلمش ومابيضحكش.
من مدة صغيّرة كان هوّه..
أحلى ضحكة وأعلى كلمة لما يدور اللَّقش❀

❀ اللقش التريقة والسخرية.

لكنّ سكوته سكّت ضحك الناس
ووجوُده خلّى الناس قعدت.
نشْفت ع العصْى إيدين الرجّال..
ويُقاق بتودْوِد فى ودان..
وعلى الأرض..
قعدوا عيال ابنود اللى ساعة الجد..
مابيبقوشى عيال.
جه «مطرود» بالشاى...
- «الشاى ياحمد.. وانت ياهاشم..
وانت ياشيخ منصور..
الشاى يا مبارك.. مد إيديك يا عويضه.. حنفى خُد.»
ويقول هاشم..
- «إيه بس يا مطرود..؟
حد موصّيك ع القرش اللى ف جيبنا؟
لازم ناوى تشترى منّينا بنود..!»
ويقول مطرود..
- «مش عايز منكم ولا قرش..
وانا حاقعد اشرب وسطيكم..
أنا بصراحة..

من ساعة ما عرفت حكاية سفر احمد..
وسرايرى مش مرتاحة..
وادى ولله الحمد..كل الرجّال قاعدين..
بعد اذن الكُل وإذن احمد سماعين..
عايز أعرف..»
إحمد ساكت..
ساكتة الناس..
إلاّ من زعق الشّفط ف كبايات الشاى..
الرجّال المهمومة والولْد العواجيز..
وفانوس مطرود اللى بيصحى ويموت..
وينّور ويدخّن.
واللى معدى ييجى قاعد..
إحمد لقى نفسه سجرة متحاطة بسور..
أكتر من ميت وشّ..
يعرفهم حتى لو يتطفى دلوقت
فانوس مطرود.
يعرفهم بالعود.
يعرفهم بالضل وبالصوت.
بص بوشّه لفوق.. وسأل..

- «أنا اللى عاوز اعرف ياجماعه.
بلدنا تلتينها بيرحل..
العيِّل قبل ما يدَرك
بيكون حازم خَلَقَة بْشُقَقُه.
الناس بتعاود.. وتسافر.
إشمعنى احمد لما حيمشى..
هوّه اللى بِقِى عاصى وكافر..؟
إشمعنى أنا..؟»
«حمزه اب يوسف» يضرب خزرانته فى الأرض:
- «صحيح.. إشمعنى احمد..؟
صحيح.. إشمعنى انت...؟
اشمعنى احمد ياجماعة..؟
كل الناس بتسافر من غير...
ما يحسّوا بيها الغير.
إشمعنى احمد سماعين..؟»
ويشاور بعصايته على الولْد القاعدين..
«العيابيل دى.. حدّ ندهْهم..؟
حد يادْانت وهوّه خبط على باب واحد فيكم..؟

لأ.. جايين هنا وحديهم... مستنيين..
علشان عارفين إن حدا القهوة الليلة
موضوع مَشَيان احمد سماعين.
واحمد سماعين لولا ما حبُّوه..
لم كانوا جوك.. ولا كانوا
اترشرشوا من حواليك زى المساكين.
لانت أبوهم ولا عمدتهم لكن جوك..
طلعوا من بطن اماتهم على سيرتك..
واتعلموا م الصغر يحبوك..
إتعلموا منك كيف يبقى العيِّل راجل..
كيف يغوى الناس.. والخير..
ويموّت نفسه عشان الغير.
دلوكتى ان جيت تمشى..
وان قلت يامصر..
كل العيابيل حتقول يا مصر..
واللى يحب مايكرهش يابو المرحوم..»
يسكت احمد
والناس تسكت..
ويعلى أدان العِشا والناس ماتقومش.

حنفى جنب عويضة وعبد الجواد.
مطاطيين.
لم حَبّوا تيجى الساعة اللى الخلق..
تسأل فيها احمد سماعين.
والولْد المحتارة.. والشبان.. ساكتين..
فى قلوبهم حيرة اسمها احمد سماعين.
وعلى غفلة..
رفع احمد راسه لفوق وسأل:
- «إيه بالظبط اللى مدايقكوا فَ مشَيانى..؟
أنا..؟ والاّ انتو بعدما أمشى..؟
والاّ شئ تانى..؟
أنا...؟
يعنى خايفين على بعترتى فى بلاد الناس..؟
والاّ علَى عمّى رحاب الاعمى..
والاّ نفيسة..؟
خايفين على بهدلتى؟
والاّ على دمعات جودة الميِّت وكلامُه معاى..؟
والأهْد (*) اللى واخده على نفسى لنواره...؟
إيه اللى مزعلكم بالظبط...؟»

(*) الأهد : العهد.

ويقول عمران...
- «اللى مزعلنا ان الـ.....»
ويقاطعه احمد..
«أسكت إنت يا عمران..
أنا باسأل ناس ابنود..
إنت طول عمرك فى ابنود
لكن مش فيها.
رجلك هنا لكن راسك فى البندر.
تاخد منها القرش وتبقى ناس
علشان تعْلَى لفوق
وتشوف َناسها مش ناس
أنا باسأل ناس ابنود..
اللى ربُّونى.. وليهم حق علىّ..»
ويقف على حيله:
«ياجماعة.. أبوه انتو بتحبونى.
الدنيا عليا صعبة بُدونكم..
والدنيا عليكم صعبه بدونى.
لكن يا جماعة الحب ده شئ من عند الله.
طول عمره ما يعِّذب ولا يتعِب
ولا يربط إنسان فى عذاب.

ولا يقفل على فرْح القلب غلَقْ ولا باب.
اللى يحب إنسان يتمنى له الخير..
كل اللى بيمشي يا ناس.. بيتوه عن سكك الخير..؟
كل اللي بيمشى بيبقى قلبه هناك..؟ ومعيشته هناك..؟
وبينسى بلده ويلزق فى بلاد الغير..؟
هنا خلصنّا الضحك..
وخلصنا الحواديت..
وخلّصنا القول..
ومن الغيط للدكان للسوق.
نفس المشوار..
نفس الرقدة فى الدار.
نفس سلامو عليكم.
نفس وشوش الناس..
الواحد ينشف كده.. يدبل.. يسكت..
قرّبت ابقي عجوز..
نفسى أركّب لى جناحين.. وأطير..
أعرف وأشوف
وارجع وأقول..
أمال ليه الرب ادانا ارْجُل وعْقُول..؟

ده تمن الحب..؟
أتمرمر بيه..؟
أدفع تمنه ذنب..؟
ده الدَّرس اللى عاوزين وِلْد ابنود ياخدوه..؟
ترتاحوا لما اقعد بينكم دبلان..؟
ميِّت... لامحصِّل عواجيز ولا شبان..؟
إحمد سماعين اللى بتفحتوا عنُّه فيّا خلاص..
دلوقت بيحلم بالخطوة لقدام..
بالزمن المش معروف..
بدال ما تزلّونى..
مدوا إيدكم ساعدوني.
أنا مش رايح اصيع ولا اضيع..
أنا مش هربان منكم ولا من نواره..
أنا مش باقطع حَبلى مع جوده..
حَبْلى مع جودة أحلى شىّ ف عمرى..
وده اللى محسّسنى انى بنى آدم.
مش باهرب من عين وعَجَزْ عمى رحاب..
عينه العميا دى.. عينى الشايفه هناك..
أنا مش زى اللي مشوا.

أنا مش زى التانيين.
أنا مش حسّانى.
أنا إحمد سماعين إياه.. مش واحد تانى..
حتطلّعوا روحى ليه....؟»
وبكى..
طبقت سما أبنود على روس الناس..
إحمد مش كداب..
عمره ما كدب..
لكن يمشى كيف..؟
وده ضحكة.. وكلمة.. وكيف..؟!!
وتلات تيام تانيين..
فهِّم نّواره.. ويامقْسى ليلتها..
واتعذب من دمع عيون خالته نفيسة المحرومة..
لكن عمه رحاب.. كان وياه..
واتباع الكرم.
مارضيش لا يبيعه لعمران..
ولا لخليفة عبد العال.
خَدُه منه (منصور احمد)
وادَّاله التلاتين ورقة.

وحلف قدام ابنود لم رجل تخطّى عتبْتُه.
إلا نفيسة ورحاب.
وان الكرم ده مش كرْمه..
إلاّ لو إحمد ضاع
وابنود قالت خُشّوا الكرم.
(الكرم ده إنت.. وإنت الكرم..)
(إنت حتمشى.. لكن راح تفضل هنا فى الكرم)
(إن عُدْت حيبقى الكرم أصيل)
(سافر.. لكن إفتكر الكرم)
كان إدّى ميعاد انّه مسافر الجمعه..
بعد ما خَدْ عنوان حسانى
من (طه غزالى البسطاوي)
لكن يوم الاتنين بالليل..
لما اتخيل زفّة أبنود ليه ع القطر..
دار على نواره.. ويامنه
نواره تلاته جنيه..
نفيسه وعمُه رحاب..
إداهم خمسة جنيه..
بالليل.. احمد نام ع الفرش..

مسحوب الروح على درب الحلم.. ودرب
عذاب لاصحاب..
مسحوب الروح على وجعْة نواره فى القلب.
إحمد ع الفرش..
«شايفك ياعويضة بتتقلب ع الفرش..
حبيتنى ليه؟.
هاودْت الخطوة الساهلة ورايا ليه؟.
إتقلّب زى العيش فى الشمش.
إتقلّب يبقى ساعات النجم فى عينك..
وساعات يوْقع منك ع الفرش.
صاحبك ماشى
مش صاحبك
أمك
أبوك
دروْة صيفك
إحمد سماعين..
ماشى.
معْجبتك وسط الخلق بصاحب يتصاحب..
ماشية.

الضحكة المقسومة
والبصلة المقسومة
والدنيا الماشية
ماشية.
أعز الناس
واحلى مُطرح تحلالك فيه العيشة.
إقلب واعدل ياعويضه.
اخشّ ف فرشك.
فى نَسير الحلفا.. وإنّ.
قول آى على شوك
الليل اللى أبوه مش صبح.»
وعويضه اللى سرقاه سكين..
ـ «يو.....ه..
مايغور..
م اللى يمشى يمشى.. واللى يقعد. يعقد..
ييجى والا يروح.
الزول حُرّ فى مصلحته..
وعارف نفسه ترتاح فين.
أو.....ه..

م اللى يمشى يمشى.
نفسى أنام..
نفسى يغور الليل.»
وتعوى الكلبه..
ينقلها ريح الليل...
- «كلبة نوارة.. هوّه.. حسِّها ده.
الحس اللى زى ما كونَ بيقول
«جوده.. جودة.. جودة»
كيف يرجع جودة يا كلبة نواره؟؟
كيف يرجع جودة...؟
كنت أسافر وانا خالى.
جودة مش راجع..
أنا جودة..
وآدينى ماشى زى ماجودة مشى.
ماعرف راجع..
أو مش راجع.
وبتلبعى ليه روحى يادمعة خالتى نواره..؟؟
....
....

فى الليل..
كانت نواره بتتقلب..
ردت بابها عليها..
وادّت نفسها للفرش..
ولقت روحها وحيدة فى دنيا معنكبة وَحْشة
خافت.. وبكت:
- «على آخر العمر..
وتسيبنى ياجودة.؟»
- «إحمد...»
- «أهو إحمد ماشي ياجودة..
خلْيت بيا الدنيا.. يابوى»
ومَخدتها الكسوة المليانة شراطين وقماش..
كان احمد بينِّشف مُرّ خليفة..
مين دلوقتى ينشف مر خليفة واحمد
ومرار جودة..؟؟
«والله وطولى.. والْكُمِى قيًا..
يادى الليلة السودا.»

على غفلة قام.
شئ كده قالله قوم..
علَّى اللنضه..
ووطَّى قعد على طرف الفرش..
وعلى غفلة قام تانى.. بعجلة..
جاب السَّبت اللى جاله من «الكلاحين..»
لَمَّ الهدمات..
قميصين لسه جداد وتلاته وش صديرى
وتلاتة طقية.
واربع جلاليب دمّور..
قام.. فَضَّى جرِّة ميه فى الحله..
واتسبَّح..
لما طلع ع السطح..
كان القمر الكامل مالى الدنيا..
والنجم اللامع مترشش وكإن الفجر
طلِع فى الليل.
كان هادى..
ومش ساكت منه غير خشمه..
الحيطة المتر..

نَطّ بقى على سطح رحاب ونفيسة البس..
نزل السلم ووقف..
وحدها مكتومة فى الليل..
ـ «خالتى..؟»
ـ «مين..؟ عاوز ايه ياأحمد؟»
ـ «عاوز اقولك بس..
بعدما تصحى شوية
إصحى يا خالتى.»
ـ «خير اللهم اجعله.. خير»
ـ «ليه مفزوعه بس ياخالتى..؟»
....
«حُطِّى عنيكى ف عين الدنيا بدال الخوف..
والرمية تحت الحيط.
أنا جبت العنوان.
وعرفت مكان حسانى.
أنا رايح.
خالتى..
أوعي تقولي كلام م اللى بيئذى فى النفس..
إوعى تصحَّى عمى..

دى أمانه بينى وبينِك.
نوارة.
تشيليها فى عينِك.
فاهمة يا خالتى فين تشيليها.؟
دى أم الغالى.
أُمّ أعز ما كان ليّا ياخالتى..
أظلمى نفسك واظلمى عمّى رحاب..
واوعى تظلمى نواره..
حاتقلّب فى فراشى فين ما حاكون.»
....
نَطوا حيطة السقف المتر..
الراجل نايم فى الحاصل تحت..
- «آدى الحلة..
آدى الطشت وآدى الابريق.
وبكره الصبح تقومى تقشى كل البيت..
بيعيه.
إوعى تخليه علشانى.
أنا حاجى بغيره معاى.
كُلى منُّه.. انتى. وعمى.. ونواره..

وان جاد المولْى..
إوعى تفكري حانساكى.
قلبى معاكى ف كلها وقت وساعة ياخالتى.
وقلبى ونَفَسى وفكرى معاكى
أنا باغواكى انتى يا خالتى
مش باغوى المعروف».
- «طب اصحّى عمك»
- «على ماابْكى معاه حيفوتنى قطر الصبح..
قلبى معاه.
حيزعل قوى لما يقوم
ومايلقاش احمد..
حيزعل قوىٍ
وآدينى بكيت.. مبسوطة ياخالتى.؟
من قد ايه ما بكيت..؟
آدينى بكيت قدامك إنتى يا خالتى.
حاعرف حسانى..
واعرف إيه اللى شافه هناك
واللى خلاّه حسانى التانى..
غير حسانى.

وحاقولّك وابعت..
وآدينى يا خالتى وصيتّك..
إلا.. نواره...»
ما كانشى شايف ضل لنفسه
ولا للسَّبَت اللى ف إيده
ع الأرض.
لسه الشمش بعيدة
ولسه الليل ليه ديل..
كُنْدْرته* بتضرب توبه الدمور..
ماشى يِهِم*..
مع إنه لسه كتير ع القطر.
كإنّه بيهرب من نوارة.
م الذل اللى نايم جوه رحاب.
وبيص بعيد فى الليل على خط القطر..
القطر
اللى ماركْبتُه إلا امّا جوده مات..
أهى نوارة بتموت.
ورحاب بيموت.

* كندرته: حذاؤه الرخيص.
* يهم: يسرع.

ونفيسه بتموت.
والدنيا بحالها..
علشان من تانى أركب قطر.

....

السما فَتَحت كُمَّها للنور..
وابتدا يظهر فى الليل..
عمدان السور...
- «وآديني باخطِّى الجسر
وادى المشوار الرمل اللى ما بين الشجرات
والكُشْك.
ياما مشيته..
لكن ياما حلمت امشيه وأنا مسافر..
وآدينى ماشى عليه..
وانا راحل على مصر.

(تم الجزء الأول)

صدر للشاعر

١ - الأرض والعيال	ديوان شعر	١٩٦٤/١٩٧٥/١٩٨٥/٢٠٠٠
٢ - الزحمة	ديوان شعر	١٩٦٧/ ١٩٧٦/ ١٩٨٥
٣ - عمّاليات	ديوان شعر	١٩٦٨
٤ - جوابات حراجي القط	ديوان شعر	١٩٦٩/ ١٩٧٧/ ١٩٨٥/١٩٩٦/٢٠٠٠/٢٠٠١
٥ - الفصول	ديوان شعر	١٩٧٠/١٩٨٥
٦ - أحمد سماعين	سيرة إنسان	١٩٧٢/ ١٩٨٥/١٩٩٨/٢٠٠٠/٢٠٠١
٧ - أنا والناس	ديوان شعر	١٩٧٣
٨ - بعد التحية والسلام	ديوان شعر	١٩٧٥/ ١٩٩٨/٢٠٠٠/٢٠٠١
٩ - وجوه على الشّط	قصيدة طويلة	١٩٧٥/ ١٩٧٨/٢٠٠١
١٠ - صمت الجرس	ديوان شعر	١٩٧٥/ ١٩٨٥
١١ - المشروع والممنوع	ديوان شعر	١٩٧٩/١٩٨٥
١٢ - المد والجزر	قصيدة طويلة	١٩٨١

صدر للشاعر

١٣ - السيرة الهلالية	دراسة مترجمة للفرنسية	١٩٧٨	
١٤ - الموت على الاسفلت	قصيدة طويلة	١٩٨٨، ١٩٩٥، ١٩٩٨، ٢٠٠١	
١٥-١٦-١٧- سيرة بني هلال	الأجزاء الثلاثة الأولى	١٩٨٨	طبعات متوالية
١٨- ١٩- سيرة بني هلال	الجزءان الرابع والخامس	١٩٩١	
٢٠ - الاستعمار العربي	قصيدة طويلة	١٩٩١/ ١٩٩٢	
٢١- المختارات	الجزء الأول	١٩٩٤/ ١٩٩٥	
٢٢ - أخر الليل	مقالات	١٩٩٨/٢٠٠١	
٢٣ - الأحزان العادية	ديوان شعر	١٩٩٨	
٢٤ - الأخطاء المقصودة	مقالات	٢٠٠٠/٢٠٠١	